التيارات الفكرية

دراسة وتحليل

تأليف

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

الأستاذ الدكتور
سامي عفيفي حجازي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولي
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٥٩٣٨٤١١ / فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة
E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٩٠٦١
الترقيم الدولي I.S.B.N	977-341-167-2

التيّارات الفكريّة

دراسة وتحليل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم على الإنسانية بنعمة المعرفة.

والصلاة والسلام على المرسل رحمة للناس أجمعين والمبعوث هداية للعالمين.

أما بعد:

فإن التيارات والحركات المعاصرة تتخذ الأساليب المختلفة لإبعاد الإنسانية وخاصة المسلمين عن الطريق السوي.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال وتساقطت، في هاوية الضلال والانحراف والفساد بسبب هذه التيارات، والتي يرقص السذج والجهال على نغم إيقاعها، يفتنون بمظاهرها وواجهاتها.

وإن أمتنا الإسلامية تعاني من التيارات والحركات المختلفة، التي تنخر في عظام الأمة، وتعمل على إيقاف المد الإسلامي، وحركة الأمة الإسلامية.

ولذا كان الواجب أن نتصدى لهذه التيارات بالعرض لها، وكشف زيوفها حتى نتبين الطريق.

ولذا قمنا بالعرض لهذه التيارات والحركات في مباحث شملت الكثير من هذه التيارات التي تكيد للأمة الإسلامية.

ولا يخفى أن التعرف على هذه التيارات يجعلنا على بينة من أمرها وخطرها.

وإن الناس في أشد الحاجة إلى مواجهة هذه الحركات والتيارات التي

تستهدف المجتمعات الإسلامية، لتصرفها عن العمل الجاد، والابتكار، والتقدم.

والمواجهة لن تتأتى إلا بعد الكشف عن ماهية هذه التيارات كما أن الإنسانية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها، وضعًا كان فيه للتيارات خبراء ومتفلسفون كما تشهد في هذا العصر، الذي اتخذت فيه الحركات نظريات وفلسفات، بعيدة عن الصواب.

لذا كان الإنسان بحاجة إلى إيقاظ الأدلة والبراهين التي تكشف له زيف هذه التيارات، وأنها قائمة على التوفيق والتلفيق.

المؤلفان

أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح أ.د/ سامي عفيفي حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة آية ٣٢

التيارات بين اللفظ والدلالة

وردت كلمة تيارات في مدلول اللغة كمصطلح تتقاسمه عدة علوم، وذلك لأن كلمة تيار من الأسماء المشتركة كما يقول صاحب المعجم الوجيز تيارات فكرية وتيارات أدبية[١] ويكون المقصود من اللفظ معنى معين، في علم معين كأن يقال: تيار فكري أو تيار كهربائي وهذا وذاك يقصد به مصطلح محدد لدى المشتغلين به، كما يقال تيار من الانفعالات عند الغضب أو تيار من العواطف عند السرور ويقصد بهذا وذاك أمر ما لدى قائليه أو مستخدميه، ومن ثمَّ لزم بيان المعنى المراد بلفظ التيارات في مدلول اللغة أولاً، ثم في مدلول الاصطلاح ثانيًا.

أولاً: المراد بلفظ التيارات في اللغة:

وردت كلمة تيار في قواميس ومصادر اللغة على الاطلاقات التالية:

أ- الاطلاق المادي:

ويعرف بأنه حركة سطحية في مياه الأنهار والبحار والمحيطات تتأثر باتجاهات الريح، وقد تنقل المياه الدافئة إلى المناطق الباردة وبالعكس[٢].

وهذا الاطلاق المادي يمثل الحركة في حد ذاتها، كما يمثل المكان الذي تتحرك فيه، وا لوقت الذي تقطعه أثناء حركتها، وكل هذا يؤل إلى أن الحركة مادية والمكان مادي.

ب- الاطلاق المعنوي:

يقول صاحب المعجم الوجيز: التيار شدة جريان الماء[٣] والتيار: الموج وفعل

---

(١) المعجم الوجيز ص ٨٠، مادة: ت ي ر ، ط. مجمع اللغة العربية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) المرجع السابق نفسه.

ذلك تارة بعد تارة: أي مرة بعد مرة، والجمع تارات وتير[١].

قال الجوهري وهو مقصور من تيار، كما قالوا قامات وقيم، وإنما غير لأجل حرف العلة كما قال الراجز: بالويل تارًا والثبور تارًا وأتارهُ: أعاده مرة بعد مرة[٢] وهذا يوقفنا على أن الشدة والضعف أمور معنوية يُعبر عنها بألفاظ تعمل على تقريب المعنى المراد، لأن الشدة والضعف من الأمور النسبية التي لا يقطع فيها بقول قاطع لأنه اطلاق مجازي كتيار الفرائز، وتيار العواطف، وتيار الانفعالات وغيرها.

كما يوقفنا على أن المراد بمدلول التيارات في اللغة جمع تيار، والتيار حركة أو ما يدل عليها مادية أو معنوية.

ثانيًا: المراد بلفظ التيارات في الاصطلاح:

لما كانت الألفاظ قوالب للمعاني فقد كشف المعنى اللغوي على أن مدلول التيارات يشمل المعنى المادي والمعنوي والتيار المادي: حركة مادية تنشأ في متحرك مادي كما يقول صاحب المعجم الوجيز التيار في الطبيعة هو سيال كهربائي يجري في جسم موصل للكهرباء وهو أنواع متعددة منها:

- تيار الكهرباء.
- تيار الطاقة.
- تيار الماء.
- تيار الحركة.
- تيار الريح.
- تيار المطر ......

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ١، ص ٤٥٩، مادة: ت ي ر، ط. دار المعارف بالقاهرة.

(٢) المعجم الوجيز ص ٨٠، ٣٨٦، وراجع مختار الصحاح للجوهري ص ١٤٠، مادة: ت ي ر. والمرجع السابق لابن منظور.

وأما التيار المعنوي فهو ليس مادة، وإن نشأت عنه المادة كأثر من آثاره، كتيار العواطف، الذي تظهر آثاره انبساطًا على الوجه أو عبوسًا ولذا كان الأثر في التيار المادي عن طريق مباشر، وفي التيار المعنوي عن طريق غير مباشر، لأنه حركة داخل العقل لا ترى ولا تحس لأنها تخضع للإدراكات الذهنية وتشمل:

- التيار الفكري.
- والتيار الأدبي.
- والتيار العلمي.

وهذا البيان لمدلول التيارات في اللغة والاصطلاح يوقفنا على أنه لا مشاحة في الاصطلاح، وعلى الدارس الإلمام بمصطلحات المذاهب والاتجاهات حتى لا يختلط عليه شيء، هذا أولاً.

وثانيًا: لا يحتج على الحق بتقصير المنتسبين إليه، ولا يسوء فهمهم له.

وعلى المقارنين بين المذاهب والاتجاهات أن يزنوها بميزان واحد ليميزوا بين الحق والباطل، ذلك أن التراث الإسلامي إما معقول أو منقول يدركه العقل، أو لا مجال للعقل فيه.

والذي يعصم الذهن عن الخطأ في التفكير هو المنطق الفطري. ومن وسائله: المنطق الاصطلاحي قديمه وحديثه.

والتيارات الفكرية تتعدد أبعادها، ومع تعدد الأبعاد تتعدد الوسائل، التي تتخذها لكن الأهداف واحدة!!!

وهذه الدراسة سوف تستخدم المنطق بصوره المتعددة العقلية والنقلية لكشف عوار تلك التيارات والبيان لماهيتها التي بنيت عليها من التوفيق والتلفيق والترويج للأفكار المجافية للحق والبعيدة عن الصواب، كالقول بأزلية المادة

وأبديتها، وأنها نتاج الطبيعة الصماء التي هي أرزل جوانب المخلوقات كما ، توضح صدق ما وقفنا عليه وأن التيارات الفكرية هي مجموعة المفاهيم والاتجاهات والأقوال التي أفرزها العقل البشري بعيدًا عن الوحي الإلهي، بهدف إعادة البناء الاجتماعي للفرد والمجتمع من خلال رؤية العقل المحدود وبعيدًا عن الوحي المعصوم[1].

ولذا تحولت هذه التيارات مع الزمن إلى معتقدات يذهب إليها وتوجه الشعوب إلى الإيمان بها والسير على معطياتها حتى تعددت بتعدد معطياتها الأمر الذي ترتب عليه أن أصبح لكل مذهب أو اتجاه من هذه الاتجاهات رأيه عن الكون... والحياة... والإنسان... والإله والقيم.

والمتصفح لأوراق أصحاب الغزو الفكري يقف على الخلط المصطنع بين ماهية بناء الاتجاه الفكري والاتجاه الديني.

ونحن نشير في بداية البحث بالفروق التي بينهما كما يقول الدكتور الأنور في دراسته من أبعاد الغزو الفكري وتتلخص فيما يلي:

أولاً: صاحب المذهب الفكري يعتمد كلية على العقل البشري.

أما صاحب المذهب الديني فإن منطلقه الأساسي هو الاعتماد على النص الديني، ويؤيد قوله بالحجة والدليل القائم على البرهان المستمد من كتاب الله وسنة رسوله والإجماع الشرعي الثابت، وما عداهما مصادر فرعية تفسيرية يستأنس بها في تجلية الحقيقة.

ثانيًا: صاحب المذهب الفكري يعطي لنفسه الحق في مناقشة كل القضايا ولا يثق إلا فيما يراه بعقله.

---

(١) راجع دكتور/ محمد الأنور عيسى من أبعاد الغزو الفكري، ص ٢٠، ط الأولى ١٩٨٩م.

أما صاحب المذهب الديني فيتحرك في دائرة المسموح بـه ولا يقحـم عقلـه في البحث عن كنه الذات الإلهية وحقيقة القدر والروح..

ثالثا: صاحب المذهب الفكري يهدف إلى إطـلاق العنـان للإنسـان بـلا قيـد من قيـم أو أخلاق باسم الحرية، كما هو الحال في المذهب الفـردي (الوجوديـة) أو إلغاء الإنسان الفرد في سبيل المجموع، كما هو الحال في المذهب (الشيوعي).

أما صاحب المذهب الديني فيهدف إلى مساعدة الإنسان الفـرد والجماعـة ويعمل على تأكيد الفرد لذاته دون أي صدام مع مصالح الجماعة.

رابعًا: صاحب المذهب الفكري يعطي حـق التشريع للإنسان الفـرد كمـا هو الحال في المذهب الرأسمالي أو لإنسان الجماعة كما تدعي الشيوعية.

أما صاحب المذهب الديـني فإنـه يؤمـن بـأن لا حاكميـة إلا لله تعـالى وإذا كان من حق العقل أن يعمل فإن عمله لا يخرج عن النص الديني[1].

وفي هذه الفروق تتناول هذه الدراسة البيـان للتيـارات والمذاهـب الفكريـة مثل: الغنوصية، والماركسية، والوجودية، والبرجمانيـة، والوضعيـة، وأصحـاب الدعوات الهدامة مثل: الصهيونية، والماسـونية، والبهائيـة، والقديانيـة... وهـؤلاء وأولئـك يعـدون أصحـاب أقـوال اصطنعوهـا واقتنعـوا بـها حتـى سـيطرت علـى حركاتهم في الوجـود، وحسـبوا أنـهم بـها قـادرون علـى تغير مسـار الإنسـانية والتحكم في مقدراتها.

وهذا ما سوف تكشف عنه سطور هذا البحث بالحجة والدليل.

وقبل البيان نرصد الحقـائق التاليـة للتذكـير بـها كمـا يقـول صـاحب دراسة قضايا العصر وتتلخص في الحقائق التالية:

---

(١) راجع أ.د محمد الأنور حامد عيسى، المرجع السابق ص ٢٢.

(الحقيقة الأولى): أن لكل أمة مزاجها النفسي وذاتيتها الخاصة القائمة على أساس من عقائدها وقيمها وآدابها ومفاهيمها التي عاشت عليها منذ ألوف السنين، وأن هذه الأمة حين تواجه أي قضية من القضايا أو حدث من الأحداث أو موقف من المواقف إنما تستمد استجابتها إزاءه من هذه المضامين.

(الحقيقة الثانية): أن العرب والمسلمين لهم عقيدة أساسية في مجال النظرة إلى الكون والحياة والله والإنسان والمجتمع، هذه النظرة مستمدة أساسًا من القرآن الكريم ومن تطبيق نبي الإسلام ورسوله في حياته وبيانه.

ومن منطلق واضح محدد قوامه:

١- أن الإسلام هو خاتم لرسالات السماء، جاء امتدادًا لها، وخاتمًا وناسخًا لها ورسالة إلى الإنسانية كافة.

٢- أن القرآن هو النص الموثق الذي لم يصبه أي تحريف، كتاب الله المنزل بالحق، الذي أعطى البشرية منهجًا كاملاً للحياة والمجتمع والأخلاق وعقيدة ناصعة قوامها التوحيد.

(الحقيقة الثالثة): أن الفكر الإسلامي إنما قام أساسًا مستمدًا من القرآن والسنة الصحيحة وأنه استكمل نهجه قبل أن تنتقل مترجمات الفلسفات الشرقية والغربية، وأنه في مواجهة هذه الفلسفات ظل قادرًا على الاحتفاظ بذاتيته ومقوماته، وأنه أنشأ منهجه في الفكر ونظامه في الحياة.

(الحقيقة الرابعة): أن الفكر الإسلامي قد أقام منهجًا فكريًا مستقلاً يختلف اختلافًا جذريًا عن مختلف مناهج أفكار الأمم وفلسفاتها وعقائدها.

وأنه أقام منهج المعرفة الإسلامي على أساس عقلي وروحي معًا، فجعل للعقل منطلقه في مجال العلوم والمحسوسات، وجعل للروح منطلقها في مجال الغيبيات وما وراء الطبيعة.

وأن الإسلام أقام الفطرة الإيمانية التي يتميز بها عن نظرية اليونان ومناهج الأديان القديمة وفلسفاتها.

(الحقيقة الخامسة): أن هناك مؤامرة دائبة مستمرة لغزو الفكر الإسلامي وإخراجه من قيمه ومناهجه ومحاولات لتدمير مقوماته وإدخال مفاهيم أخرى للقضاء على استقلاليته وذاتيته وإذابته في الأممية العالمية.

وأن المسلمين قد واجهوا مثل هذا الغزو على فترات متوالية من تاريخهم، حين حاولت الفلسفة اليونانية الإلهية الوثنية، وحين حاولت المجوسية والباطنية، وفلسفات الغنوصية الشرقية إخراجه عن مقوماته.

وقد جاهد الفكر الإسلامي ذلك جهادًا صابرًا تكلل بالظفر دائمًا، واليوم يواجه الفكر الإسلامي غزوا جديدا أشد ضراوة، في محاولة الفلسفات الغربية إخراجه من مقوماته وتدميره، وذلك بمحاولة فرض مذاهب فلسفية في مجال النفس الإنسانية والألوهية والبعث ووجود الذات، تعارض تمامًا قيمه الأساسية وتشكل ببريقها الخادع وزيفها المسبوك أثرًا في العقول الحدثة والأذهان المخالفة للفطرة.

(الحقيقة السادسة): الواقع أن هناك حربًا تشنها القوى الاستعمارية والإلحادية والصهيونية على مقومات الفكر الإسلامي باعتباره آخر الحصون التي تثبت للمقاومة في وجه الغزو بصوره المتعددة لإخراجه من مقوماته، وتزييفه بالإضافة إليه أو تحويره عن مناهجه، أو التشكيك فيه وإثارة الشبهات حوله.

وهناك أدلة متعددة ووثائق أكيدة حول هذا الخطر، والمخططات التي رسمت لهذا الغزو، وقد سجلت ذلك بروتوكولات حكماء صهيون في أكثر من موضع، كما ورد في عشرات من المؤلفات والتقارير والمخططات.

(الحقيقة السابعة): أن الاستعمار حين سيطر على العالم الإسلامي

إنما كان يستهدف تفريغ الذات العربية الإسلامية من مقوماتها النفسية والروحية والاجتماعية المنبثقة عن الإسلام، وكانت أولى مخططات هذا التفريغ هي تزييف مناهج التاريخ والتراث واللغة العربية والفقه الإسلامي، وطرح نظريات ومناهج ومفاهيم غربية عديدة. فضلاً عن أنها لم تعرض كوجهة نظر غربية، وإنما عرضت على أنها من ثمرات الفكر العالمي أو آخر مقررات العلم.

والواقع أنها:

أولاً: ليست علمًا ولكنها فلسفة وفرق كبير بين العلم والفلسفة.

ثانيًا: أن لنا نحن العرب والمسلمين نظرية وللغرب نظرية في مختلف هذه القضايا سواء اتصلت بالنفس أم بالاجتماع أو سائر جوانب المعرفة الإنسانية.

ومعنى هذا أن الاستعمار كان يعمل أساسًا على تفريغ الأمة والعالم الإسلامي من محتواهما العقدي وذلك حتى يجعلهما مؤهلين ليقتل مفاهيم أخرى، تغطي الحاجة في دائرة النفس والعقائد والمجتمع، فإذا جاء هذا الجديد لم يجد حصانة تحول دون تقبله، ولم يجد معرفة تفهمه وتكشف زيفه أو تعطي القدرة على المقارنة بين تبعيته وأصالة النهج العربي الإسلامي في الموضوع نفسه.

(الحقيقة الثامنة): ولذلك فإن أهم ما يجب علينا أن نعرفه هو أن هناك نظريتين في مختلف هذه المجالات - مجالات النفس والعقائد والاجتماع:

* نظرية عربية إسلامية أصيلة مستمدة من قيمنا وتتفق مع ذاتيتنا ومزاجنا النفسي وقائمة على فطرتنا الجامعة بين الروح والمادة والعقل والقلب، والدنيا والآخرة.

* ونظرية غربية قامت في بلادها واستمدت مقوماتها من قيم فكرها ووجودها الاجتماعي أو النفسي الخالص.

(الحقيقة التاسعة): أن الفكر العربي يرفض النظريات الوافدة في مجال النفس والاجتماع والثقافة ولكنه يقبلها في مجال العلوم والحضارة، ذلك لأسباب عميقة بعيدة المدى، أهمها:

قيام المجتمعات العربية والإسلامية أساسًا على الترابط بين الدين والمجتمع وقيام مناهجها على أساس أخلاقي ديني وكون الإسلام دين ومنهج حياة، وكون نظرية المعرفة الإسلامية ذات جناحين مادي وروحي، عقلي ووجداني. بينما تصدر هذه النظريات من دائرة الغرب في مواجهة تحديات مجتمعاتها.

(الحقيقة العاشرة): أن استجابة المجتمعات العربية الإسلامية لهذه النظريات الوافدة ليست استجابة أصيلة، وإنما هي تحدث تحت تأثير إغراء البريق، وعقدة النقص وتقليد الغالب، وفي ظل الفجوة الحادثة من نقص المعرفة الأصيلة بمناهج فكرنا ومقوماته[1].

وكل هذه الحقائق تحدد الأخطار التي تهدد النفس الإنسانية وهذه الأخطار قوامها الفلسفة المادية، وتتلخص في:

أولاً: الإلحاد في مواجهة الإيمان والهجوم العاصف على العقائد والأديان والنظرة المضطربة إزاء الألوهية والبعث، ومحاولة إنكار الغيبيات إنكارًا تامًا وقصر النظرة والمعرفة على المحسوسات.

ثانيًا: إعلاء الغريزة واعتبارها مصدرًا أساسيًا لكل تصرفات الفرد

---

(١) الأستاذ: أنور الجندي قضايا العصر في ضوء الإسلام، ص ١٧، ط. مجمع البحوث ١٩٧١م.

الإنسان، والدعوة إلى إطلاقها والتحذير من أخطار ما يسمى بالكبت والأمـراض النفسية.

ثالثا: تأكيد الذات وتحقيقها بحرية التصرف دون تقدير للضوابط الـتي تحفظ كيان الفرد، أو الحدود التي تحفظ علاقات الأفراد وذلـك في مواجهـة مـا يسمى خطر الموت[1].

وهذه التيارات الفكرية التي سوف نتناوليها الدراسة تتمثل في:

١- الغنوصية.

٢- الماسونية.

٣- الصهيونية.

٤- الوجودية.

٥- العلمانية.

٦- الأستشراق.

٧- التبشير.

---

(١) المرجع السابق.

الغنوصية

الغنوس أو الغنوسيس، كلمة يونانية الأصل. ومعناها: المعرفة. غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيًا، هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقًا مباشرًا، بأن تلقى في النفس إلقاء، فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية[١].

وسميت الغنوصية بهذا الاسم، لأن شعارها: بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان. أما معرفة الله، فهي الغاية والنهاية[٢].

واهتمام الغنوصيين إنما هو بالكمال.. ويمكن بلوغ الكمال بواسطة الغنوص "العرفان"، المعرفة.

والعرفانيون في الأصل. نفر استحوذ القلق عليهم، في بيئة كانوا فيها قلة، ثم ساورهم الشك في حياتهم الفكرية، بالإضافة إلى النظم العالمية، التي كانت سائدة في زمانهم، فغلب عليهم التدين، ورفضوا سلطة العقل، ثم زعموا أن إدراكهم للأمور مستمد من معرفة يتلقونها من العالم الإلهي، بطرق باطنية، خصوا بها دون سائر الناس[٣].

والغنوص يتم بوصفه عرفانًا بالإنسان، وهذا العرفان يفضي إلى عرفان الله، والعرفان بالله، هو المؤدي إلى النجاة أو الخلاص، لأن الله هو الإنسان..

---

(١) راجع الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام جـ١، صـ١٨٦، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة ١٩٧٧م.

(٢) انظر الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة جـ٢، صـ٨٦، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(٣) الدكتور عمر فروخ، الفكر العربي في منهاج البكالوريا اللبنانية، صـ٦، ط دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.

ولهذا فإن أساس الغنوص هو معرفة الإنسان بنفسه، بوصفه إلهًا، وهذه المعرفة تؤدي إلى نجاة الإنسان.

وقد تنوعت اتجاهات أصحاب هذه النزعة.. لكن اعتبار الخصائص التالية، مميزة لها جميعًا:

١- **الخلاص أو النجاة:** بوصفه معرفة الإنسان بذاته. وفيها تتحد الذات مع الألوهية اتحادًا جوهريًا.

٢- **الثنوية الدقيقة.**

٣- **تجلي الألوهية:** من خلال صاحب وحي أو مخلص[١].

وقد اعتبر الغنوصييون عقائدهم. أقدم عقائد في الوجود. وأن الغنوصية أقدم وحي أوحى الله به: فانتقل من طبقة غنوصية، إلى طبقة أخرى، ولا يحد انتقاله، ولا ينتهي، وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية، بأن دائرته لا تتوقف ابدًا، وقد احتفظ به مجموعة من الكهان، والسحرة، وتناقلوه، معلنين أن بيدهم "مفاتيح الأسرار الإلهية" و"أسرار القدس الأعلى" وأن بالغنوص الخلاص الأبدي، ذلك أنه الوحي المتجدد، والفيض الذي ينبعث دائمًا من الملأ الأعلى[٢].

ويذكر الباحثون: أن الحركة الغنوصية، حركة قديمة. وهي مزيج من العقائد الفارسية الآرية، ومن العقائد الكلدانية السامية، مع غلبة الطابع الوثني، وقد ازدهرت في القرنين: الثاني والثالث بعد الميلاد، وقد زعم بعض أبناء الكنيسة: أن النزعة الغنوصية وليدة تزواج بين المسيحية المحرفة، وبين حركات روحية أخرى. أبرزها اليونانية، والإيرانية، واليهودية..

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة جـ ٢، صـ٨٦، ٨٧.

(٢) الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ١، صـ١٨٦.

وذهب (أودلف فون هرنك): إلى أن العنصر الأجنبي فيها عن المسيحية هو العنصر اليوناني، ووصف الغنوصية بأنها: حركة تهلين حار للمسيحية[١]، وأيد ما ذهب إليه "أودلف فون هرنك" العلامة ف. بوست. فقال: إن الغنوصية ضرب من التفكير اليوناني الصوفي المعقل، ذلك لأن طريقة التفكير، والنظر، والتركيب، والتفكر، والشكل الباطن، والبنية الروحية للمذاهب الغنوصية. تبدو أنها يونانية، ممزوجة جزئيًا بعناصر شرقية[٢].

ويقول ربتسنشتين: إن الغنوصية هي الاستمرار الضروري للأديان الشرقية من شتى المعمورة، أو النقطة العليا لتطورها الفرداني العالمي معًا، وبمعنى ما، هي المرحلة الأخيرة للهلينية.

ويؤكد ربتسنشتين انتشار هذه النزعة في كل العالم الهليني. ذلك أن التيارات الداعية إلى الاتصال المباشر بالألوهية، وفي طقوس أديان الأسرار، وفي فكرة الناس الإلهيين[٣].

وكل هذه الآراء تجعل من النزعة الغنوصية. مزيجًا غير أصيل من أفكار دينية، متباينة الأصول، مما يجعلها تبدو كمذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة كأفكار والدين، ويقوم أساسًا على أساس فكرة الصدور ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض[٤].

أما هـ. يوناس. وهو من تلاميذ "مارتن هيجر" فيقرر في كتابه: "الغنوصية وروح أواخر العصر القديم": أن الغنوصية ليست ثنوية إيرانية، ولا

---

(١) تهلين اي إعطاء صبغة هلينية يونانية.

(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة جـ ٢، صـ ٨٦.

(٣) المصدر السابق جـ ٢، صـ ٨٦، بتصرف وتقديم وتأخير.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، صـ ١٣٣، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

واحدية يونانية، ولا مزيجًا من كليهما، بل هي نزعة قائمة برأسها، فيها يتجلى فهم جديد تمامًا للعالم. ولمعرفة الإنسان لنفسه، وهي دعوى إلى انتزاع الصفة الدنيوية عن العالم، مما لا سلف له في العالم القديم.

كذلك جاء كوسيل في كتابه: "الغنوصية بوصفها دينًا عالميًا" فقرر: أن الغنوصية إسقاط أسطوري لتجربة الذات. وأنها إمكانية دينية للإنسان بجانب إمكانياته الدينية الأخرى(١).

والدراسات والبحوث تفيد: أن الغنوصية كمذهب باطني عرفاني، جمعت بالتلفيق خليطًا يونانيًا غربيًا وإسرائيليًا، وفارسيًا شرقيًا، ثم مزجته مزجًا شديدًا، ومحكمًا، ولكن دون أن تستطيع إخفاء الملامح الأصلية لأصولها الثلاثة:

١- الأفكار القبالية(٢) المثلة في الديانة الشعبية الإسرائيلية. بما فيها من سرية التعاليم، والرموز الخفية في التوراة، والقول بإله تصدر عنه الأرواح المدبرة للمكون، ورمزية الأعداد والحروف، والحديث عن الإنسان باعتباره "العالم الأصغر" الذي جاء على صورة "العالم الأكبر"(٣).

٢- الديانات والمذاهب الفارسية، كما تمثلت في مانوية "ماني" في القرن الثالث الميلادي، تلك التي حاولت التوفيق بين المسيحية وبين الزرادشتية، وقالت بثنائية النور والظلمة، إلهين للخير والشر. وكما تمثلت في المزدكية إحدى فرق المانوية.

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة جـ ٢، صـ٨٦.

(٢) القبالية مشتقة من القبالة وتطلق على التأويل الخفي للتوراة، انظر: الدكتور جميل صليبيا المعجم الفلسفي جـ ٢، صـ ١٤٠، ط دار الكتاب اللبناني.

(٣) قال الشاعر:

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

تلك هي أصول الغنوصية كمذهب تلفيقي: يجعل عقيدته أسرارًا يضن بها على غير أهلها، ويمزج الدين بالفلسفة، بمعناها اليوناني المثالي، ويعتمد في تصوير الذات الإلهية على نظرية "الفيض والصدور"(١) الأمر الذي جعله مأوى للمعتقدات السرية والخفية(٢).

وقد قامت الغنوصية بتخطيط عام للوجود، وضعت على قمته: الله وجودًا معقولاً، مفارقًا للمادة، غير مدرك على الاطلاق.

ومن هذا الوجود صدرت "الأيونات"(٣) متتابعة، الواحدة بعد الأخرى، في نسق زوجي، كل زوج مكون من ذكر وأنثى.. وكلما ابتعدت الأيونات عن الوجود الأول، ازدادت كثافة، وقلت مفارقتها للمادة. وأراد أيون من تلك الايونات. أن يرتفع إلى اله بدون أن يطهر نفسه بالغنوص، فطرد من مكانه، فصدر عنه أيونات شريرة مثله.

---

(١) ظهرت نظرية الفيض عن افلاطين ومن بعده ويمكن تلخيص النظرية بخصائصها العامة فيما يلي: "صدر العالم عن الله ازلا بمعنى ان العالم قديم بالزمان حادث بالذات، والله واجب الوجود بذاته، والعالم ممكن الوجود بذاته ولكنه لانه متصل وجودا وعدما بالله، فهو واجب الوجود بغيره، وهذا الدور مباشر وغير مباشر، فلأن الله لا يتغير وعلمه وفعله شيء واحد ولا يصدر عن الواحد مباشرة إلا واحد، فقد فاض عنه ازلا واولا اولية مرتبية وبالذات: العقل الأول، وعن هذا صدر عقل ثان وجسم فلك وصورته نفسه، وذلك لثنائيته لأنه ممكن بذاته. وواجب بغيره، وتفكيره بكل وبالله ينتج عنه شيئان، عقل ثان وفلك بصورته وجسمه "الفيض هنا ثنائي" او عقل ثان ونفس وفلك "الفيض هنا ثلاثي" ويستمر الأمر هكذا حتى تصل إلى العقل العاشر فيصدر عنه هيولي جميع الموجودات السفلية والبذور او الصور او النفوس والطبائع والخصائص المميزة لأشخاص واجناس وانواع الإنسان والحيوان والنبات والجماد"، انظر الدكتور حسام الألوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي صـ١١٦، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م. انظر كذلك الدكتور حسام الألوسي، دراسات نقدية نظرية الفيض الفاربية، مجلة المورد المجلد السابع عدد ٢ صـ١٥٧، بغداد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٢) انظر الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم ام حقيقة، ص ٢١٧، ٢١٨، ط الأزهر.

(٣) الأيونات تشخصات الروح هي نماذج ومثل العالم اللامتناهي في صور مشخصة، انظر: الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، جـ٢ صـ٨٨.

ومن هذه الأيونات صدر العالم المادي وما فيه من أجسام.. وليست النفوس - وهي مادة في هذا العالم المادي - أجسام، فسجنها هذا الأيون الخاطئ، وبقيت في الأجسام. في هذا الإنسان.. ولكن النفوس البشرية تحاول مرة أخرى الخلاص والصعود إلى عالمها الأول، وهنا يحدث الصراع العارم بين قوى الخير وقوى الشر.

فمن كانت فيه طبيعة الغنوص عاد إليها ربانيا، ومن تغلبت فيه طبيعة المادة، لم يرتفع عن عالمه الأدنى، ومن تساوت فيه الطبيعتان، حدث الصراع، وقد يتغلب الخير، وقد يتغلب الشر.

ولكن إذا كان الله خيرًا محضًا، ووجودًا مفارقًا غير مادي فكيف صدر عنه شر محض، ووجود غير مفارق مادي؟؟

لقد حل حكماء الفرس القدامى المشكلة، وذلك بإيجاب أصلين للوجود أو بمعنى آخر: إلهين للوجود. إله خير هو النور. وإله شرير هو الظلام وتلاقحت المذاهب، وأصبحت الثنائية بين الله والمادية عنوانًا على الغنوصية[1].

وأصبح من خصائص العرفانية "الغنوصية" الإيمان بالثنوية: والاعتقاد بأن الإله يتجسد في البشر، ثم يهبط إلى الأرض لتخليص البشر من شرور الحياة.. ويمكن أن توضح بعض المعاني الأساسية في الغنوصة فيما يلي:

١- من الأفكار الأساسية في الغنوصية: الثنوية. أي القول بوجود مبدئين هما الروح والمادة. تجري أحداث الكون حسب ما بينهما من نزاع وتعارض إن العالم يجري حسب التعارض بين هذين العنصرين المؤلفين له، ودوجة تغلب الوحد منهما على الآخر، فإذا كانت الغلبة للمادة كان الشر هو الغالب، وإذا كانت الغلبة للروح. كان الخير هو الغالب.

---

(١) الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ١، صـ١٨٧.

إن المادة من مملكة الظلام. وفيها نزعة طبيعية للعدوان ضد مبدأ النور.. أما إذا كانت السيادة لمبدأ الروح في عملية تطور العالم. فإن العملية الكونية يسودها الخير والنور. ونزعة الروح تعبر عن نفسها في المادة فإن صدورات الروح تهدف إلى ملء الهوة، بين الروح والمادة.

٢- والفكرة الأساسية الثانية، هي فكرة الصانع، لأنه لما كانت الروح والمادة هما المبدآن الأعليان، فإن فكرة الخلق غير واردة في مذهب الغنوصيين، ولهذا لا يقولون بخلق العالم وهي فكرة نجدها عند أفلاطون..

٣- والفكرة الأساسية الثالثة. هي فكرة "العرفان" والعرفان لا يتم بالفكر والتعلم، بل يتم في الجماعة، وبالجماعة عن طريق الطقوس، والمراسم، والاحتفالات، وما جرى مجرى هذا.. والغنوص "المعرفة، العرفان" ليس معرفة بالأحوال الخارجية، بل الحقائق الناطقة خصوصًا ما يتعلق بالتمييز بين الخير والشر.

وغاية المعرفة جعل الإنسان إلهًا، واتحاد الإنسان بالله هو المعرفة أو العرفان، وإن معرفة الإنسان لنفسه هي البداية، ومعرفته بالله هي نهاية الكمال.. والإنسان لا يستطيع بنفسه أن يبلغ الدرجة العليا من المعرفة. لهذا لابد من قوة علوية، هي التي تلهمه هذه المعرفة العليا. لهذا فإن كل الفرق الغنوصية تدعي انها استودعت رسالة أو وحيًا سريًا أوحي به من السماء.

٤- والفكرة الأساسية الرابعة هي فكرة الخلاص، لأنه نظرًا للنزاع بين النور والظلمة في العالم: كان لابد للإنسان من الخلاص، والخلاص هو النجاة من العالم المادي الظلماني الذي هو بطبعه شرير، ويمتزج بهذه الفكرة فكرة اللياذ بعالم آخر، يتحرر فيه الإنسان من أغلال الظلمة والمادة.

لكن هذا الخلاص لن يتحقق إلا لعدد قليل من المختارين، ومن الأرواح

المصطفاه، وهؤلاء وحدهم القادرون على بلوغ العرفان "الغنوص" ولهذا فإن الغنوصيين الأوائل لم يعرفوا إلا بوجود طبقتين: طبقة الروحانيين، وطبقة الهيولانيين، ويسمون أيضًا نفسانيين.

وبعض المتأخرين منهم يميزون ثلاث طبقات: الروحانيون، والنفسانيون والهيولانيون.

والطبقة الوسطى منها هي طبقة أولئك الذين لا يملكون عرفانا، بل علما. أما الروحاني فهو الغنوصي الحقيقي لأنه يمتلك العرفان "الغنوص" إنه يشاهد ويتلقى النور، نور البهاء المعقول[١].

وقد أثرت الغنوصية في مذاهب مختلفة واستطاعت أن تنشر أفكارها ومبادئها في كثير من العقائد والفلسفات والأديان، وقد أثبتت الدراسات المختلفة: أن الغنوصية دخلت في أعماق العقائد اليهودية.

ومن يتابع ما جاء في كتاب "التلمود" يجد: أن الغنوصية استطاعت أن تمتد إلى التلمود وتسري في قضاياه وجزئياته وذلك من مجاورة اليهود للفارسيين، وهم في منفاهم في "بابل" ثم التحم الغنوص بيهود الاسكندرية، ثم بيهود فلسطين.

وكان هؤلاء اليهود الآخرين مجموعة من الأطباء الروحانيين الذين يمارسون السحر. والكيمياء، والطب، وتبلورت الأفكار الغنوصية في أعماق اليهودية فيما يطلق عليه اسم "القبالة" وكانت القبالة أكبر غنوص سري متحرك، في أرجاء العالم المعروف وقتئذ وقد كمنت في كل مكان يعيش فيه اليهود وتحاول أن تزحف على كل عقيدة وأن تسيطر على كل مجتمع

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، جـ ٢، صـ ٨٨.

مدعية أن بيدها الخلاص[١].

إن القبالة اليهودية في جوهرها الغنوص. هي تشوف نحو معرفة العالم، وأصله وغايته ولكن هذه المعرفة لا تتكون عن طريق الفكر والبحث بل بالتأمل والإشراق ولابد للتوصل إلى هذه المعرفة من سلوك قاس، وتركز داخلي وانعكاس باطني. ولذلك كان يفترض على المريدين لكي يصلوا إلى حدود التكريس.. مزاولة طقوس طويلة ومعقدة[٢].

وفرقة القبالة اليهودية هي التي شوهت التوراة وحرفتها عن طريق التأويل وهي طائفة الباطنية في الموسوية التي ادعت الجمع بين التأويل الباطني للتوراة، وبين أساليب السحر، والطلمسات، وادعاء الكشف.

وهذا الاتجاه التلفيقي كان واضحًا، في مجتمعات الفلاسفة، في اليونان والاسكندرية وهي التي كانت تعرف بجمعيات "أهل العرفان" والجمعيات الغنوصية[٣].

ولقد تنبه اليهود إلى المذاهب الفلسفية، التي انتشرت في العالم القديم، والتي عملت على زعزعت الروايات الدينية عندهم.. ولهذا حاولوا أمرين:

الأمر الأول: إقامة أدلة فلسفية على صحة الدين عمومًا.

والأمر الثاني: تأويل الروايات الدينية بشكل لا يخالف الفلسفة.

وعلى هذا الأساس نشأ في اليهود الاسكندرانيين نفر اتجهوا هذا الاتجاه في

(١) الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١، صـ٨٧.
(٢) الدكتور محمود قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية، صـ٢٥٦، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.
(٣) الدكتور محمد احمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي صـ٢١، ٢٢، ط مكتبة الأقصى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الأردن، وراجع كذلك المستشرق جولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة الدكتور محمد يوسف مرسي، والدكتور علي حسن عبد القادر، والدكتور عبد العزيز عبد الحق، ط دار الكتب الحديثة بمصر.

التلفيق. ثم جاء (فيلون) اليهودي الاسكندراني، فنظم آراء المتفلسفين من قومه، ولكنه لم يستطع أن يخلص من شوائب التلفيق، ولا أن يضمها في نظام واحد، أو أن يستر ما فيها من التناقض[١].

ويدور أكثر تفلسف (فيلون) حول شرح التوراة شرحًا رمزيًا، فحواه مثلاً كناية عن الحس، والحية كناية عن اللذة، ويذهب إلى أن ينفي عن الله جميع الصفات التي وصفته بها التوراة، والله في نظره لا يمكن أن يتصل بالعالم، ولهذا خلق أولا الكلمة، وهي في نظر فيلون: الابن الأول لله: أما العالم فهو الابن الثاني لله ربما أن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله مباشرة، فقد جعل الله الكلمة والملائكة: شفعاء للبشر في توسلهم إليه[٢].

وبسبب هذه الفلسفة ظهرت عند اليهود طائفة القبالة، نسبة إلى "القبالة" وهي كتاب فيه التأويل الخفي للتوارة، وأهم مسائله هي: سرية التعاليم، وإمكان فك رموز التوراة، وكذلك رمزية الأعداد والحروف[٣].

ويقرر (فيدا): أن القبالة هي الغنوصية اليهودية، في أجلى مظاهر الغنوصية، وقد زحفت الغنوصية على اليهودية، قبل زحفها على المسيحية، وسيطرت على كثير من عقائدها[٤]، حتى أن فرقة الأسينيين اليهودية رفضت فكرة الإله العادل، واستبدلت بها الحكمة الإلهية[٥]، وأحد أحبار السامريين[٦]، وأقدم يهودي بعد وفاة المسيح بقليل، يعلن: أن الغنوص ليس

---

(١) انظر: الدكتور محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم صـ٣١، وانظر: كذلك الدكتور عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي صـ١٣٠.

(٢) المصدر السابق صـ٣١.

(٣) المصدر السابق صـ٣١.

(٤) الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١، صـ١٨٧.

(٥) الدكتور شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، جـ١، صـ ١٢٥٨، ط بيروت.

(٦) السامريون قوم يسكنون جبال القدس، ويقال إنهم بالعبرية "كوتيم" وهم ليسو من بني إسرائيل البتة. وإنما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا. "انظر

المسيح فقط، وإنما يظهر في كل مكان، وإن الإله الأعلى أظهر نفسه للسامريين كأب في شخصه هو، وأظهر نفسه لبقية اليهود في شخص المسيح، وسيظهر نفسه في كثير من الأماكن، كروح القدس، وأن هذا الإظهار سيكون مستمرًا، ما دامت الدنيا[١].

ومما يذكر: أن (فيلون) اليهودي الإسكندراني، كان له أثر كبير في القديس يوحنا الإنجيلي، كما كان له أثر في توجيه تلميذه (أوريجانوس) النصراني، الذي كان أول من عمل على تفسير الإنجيل تفسيرًا رمزيًا، سيرًا على طريق (فيلون) والفلسفة الأفلاطونية الحديثة[٢].

وتذكرت البحوث: أن المسيح أبرز صفات الغنوص، والمسيحية نفسها دين غنوصي، ولكنها تقصر الغنوص على المسيح وحده، فالاتحاد المطلق بين العارف والمعروف سواء في العرفان، أو في المادة، إنما كان بين الله والمسيح فقط.

وبينما الغنوص يعلن: أن المعرفة قد يتذوقها تذوقًا كاملاً -أو بالصورة التي تذوقها المسيح نفسه- كل من ألقى فيه الغنوص سر الكلمة، بحيث يعود جوهرًا ربانيًا. تقتصر المسيحية "روح القدس" للمسيح "الكلمة" له[٣].

ولقد ظهر في القرن الثاني للميلاد، ثلاثة من كبار الغنوصيين المسيحيين هم باسيليدس السوري، وفالنتينوس المصري، ومرقيون، وفكرتهم العامة أن هناك إلهين: إله العهد القديم، وهو إله قاس، جبار. منتقم، وإله العهد الجديد، وهو إله طيب. خير، محب.

الشهرستاني الملل والنحل" جـ ١، صـ ٢٦، تحقيق امير على مهنا وعلي حسن فاعور، ط. دار المعرفة بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١) الدكتور علي سامي النشار، نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ ١، صـ ١٨٨.

(٢) المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، جـ ٤، صـ ٦٣٩، ط مؤسسة مطبوعاتي طهران.

(٣) الدكتور علي سامي النشار، نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ١، صـ ١٨٨.

الإله الأول: رئيس الملائكة الأشرار، والإله الثاني: رئيس الملائكة الأخيار.

الإله الأول: صانع العالم المحسوس، والإله الثاني: صانع العالم المعقول، وقرروا أن هذا هو الحل الوحيد لتفسير التعارض الكبير بين التوراة والإنجيل، ثم تكلموا عن صدور الموجودات عن الإله، حتى تنتهي إلى المادة، وإلى الجسم الكثيف، وكيف يتخلص الإنسان من هذا الجسم، وكيف يعود إلى الإله الأعلى[1].

فالمذهب الغنوصي عاش قويًا، وظهرت في أثره مجموعة كبيرة من الطوائف الثانوية كانت أول هذه الطوائف "المرقونية" أصحاب مرقيون ويقرر ابن النديم: "أنهم -الموقونيون- طائفة من النصارى، يؤمنون بالأصلين القديمين للوجود: النور والظلمة، وأصل ثالث يمزج بينهما، وهو هذا العالم أو الحياة[2].

ويذكر العلماء: أن (باسيليدس) الذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد في مدينة الاسكندرية (مصر) جاء مذهبه -كما عرضه القديس أيرنيوس أن الأب القديم غير مخلوق، قد ولد أولا: العقل "نوس" والنوس ولد اللوغوس ولد فرونسيس، وفرونسيس ولد صوفيا ودوناميس، ومن هذين الأخيرين ولدت السلسلة الأولى من الملائكة والقوى والملائكة ولدوا السماء الأولى، ومن هذه صدرت السلسلة الملائكية الثانية الذين خلقوا السماء الثالثة، وهكذا إلى أن وجدت ثلاثمائة خمسة وستون سماء، والملائكة في السماء الدنيا خلقت العالم الأرضي، وتقاسموه فيما بينهم، وكان زعيمهم هو إله اليهود، الذي أثار البغضاء بمحاباته للشعب اليهودي.

---

(١) المصدر السابق، جـ١، صـ١١٨، وانظر كذلك روزنتال ويودين الموسوعة الفلسفية صـ ٣٢١، ط دار الطليعة بيروت.

(٢) ابن النديم، الفهرست، صـ ٤٤٨، ط بيروت.

وهكذا صارت سائر الأمم أعداء للأمة اليهودية، هناك تدخل الإله الأعلى لينقذ العالم من الدمار.. فأرسل ابنه الأول "النوس": العقل أي المسيح لكي ينقذ من يؤمنون من ملائكة العالم، فظهر النوس في شكل إنسان، وبشر بدعوته، لكنه عند الصلب اتخذ شكل "سيمون" القوريناني، فالذي صلب هذا الأخير على شكل المسيح.. أما المسيح نفسه فكان واقفاً هناك يسخر من أعدائه ثم عاد إلى الأب[١].

وخلاصة مذهب "فالنتينوس"[٢]: أن الأيون الأعلى قد دفعه الحب إلى الإفاضة، فصدرت عنه سلسلة من الأيونات التي تؤلف "البليروما" فصدر النوس "العقل" والأليتيا "الحقيقة" ومن هذين صدر زوج آخر، وهكذا على شكل أزواج، وقد حاول التغلب على هذه الثنائية لكن عبثا، لأنها تقوم في أساس الغنوصية نفسها[٣].

وإذا كانت هناك إشارات موجزة -فيما سبق- عن أثر الغنوصية في اليهودية والمسيحية، فإنه يحسن أن نعرض لأثر الغنوصية وتغلغلها في عقائد ومذاهب غير يهودية ولا مسيحية.

ولا يخفى أن هذه المعرفة مهمة جدا، حيث تمكن من الوقوف على معرفة المساحة الزمانية والمكانية، التي استطاعت الغنوصية، أن تمتد إليها..

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة ج ٢، ص ٨٨.

(٢) مانتينوس ولد في إحدى مدن الساحل الشمالي من مصر، وتعلم في الإسكندرية، في بداية القرن الثاني بعد الميلاد، وبعد ان اشتغل بالتعليم في الإسكندرية رحل إلى روما حيث عاش في عهد أسقفية: (هوجينوس) و(انيكتوس) ١٣٧ - ١٦٦ ميلادية وله مؤلفات عديدة، ضاعت كلها فيما عدا شذرات قليلة واردة في الردود عليه، وتتضمن هذه المؤلفات: أناشيد دينية، وخطبا وعظية، ورسائل، وكتابا يسمى "صوفيا"، انظر: د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة ج ٢، ص٨٩.

(٣) الدكتور عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة ج ٢، ص٨٩ بتصرف.

وبما أن الإسلام انتشر في بلاد كثيرة، وغطى مساحات كبيرة -كان أهلها يدينون بأديان سماوية، ويعتقدون في تيارات غنوصية ومذاهب مختلفة - فإن هذه المعرفة تقود إلى نتائج أفضل في التعرف على الغنوصية وموقف الفكر الإسلامي منها.

وتذهب الدراسات إلى أن الغنوص ظهر في الأديان الثنوية المتأخرة وقد نشأت هذه المذاهب نشأة غير غنوصية، ثم انتهت إلى غنوصية عنيفة، وقد جمعها العلماء المسلمون، المؤرخون للملل والنحل تحت اسم "المجوس" وكانوا قد أحسوا بما بينها من فروق، فكانوا يذكرون أصحاب الاثنين والمانوية وغيرهما.

أوجه الاتفاق والاختلاف وصورها:

ومما يحسن أن نشير إليه: أن المجوس القدامى يختلفون عن الغنوصية الثنوية، فالمجوس القدامى بدأوا من فكرة الخير والشر، من مبحث خلقي، ثم انتقلوا إلى تفسير الكون كله، رأوا مظاهر التثنية في كل شيء: في الذكر والأنثى، والصحة والمرض، والقوة والضعف، والروح والجسد والمادة والصورة، ومن هذا اتجهوا إلى تفسير الكون، والروح والجسد والمادة والصورة، كما اتجهوا إلى تفسير الكون، ورده إلى عناصر كل واحد من هؤلاء، فردوا الخير، والذكر والصحة، والقوة، والروح إلى مبدأ أول، والشر والأنثى، والمرض، والضعف، والجسد، إلى مبدأ ثان: هو أقل من المبدأ الأول.

ولكن الغنوصية استطاعت أن تسيطر على المذهب الثنوي، فظهرت الثنائية القديمة بين الله والمادة، أي بين النور والظلمة، واعتبر الاثنان قديمين، يتساويان في القدم، ويختلفان في الجوهر، والطبع، والفعل، الحيز، والمكان

والأجناس، والأبدان، والأرواح[1].

- وأول مثال للغنوصية الثنائية هو "الديصانية"[2] نسبة إلى مؤسسها "ديصان" و"ديصان" هذا آمن بالأصلين القديمين: النور والظلمة، النور مختار أي يفعل باختياره، والشر مطبوع يفعل الشر اضطرارا، والنور: عالم، قادر، حساس، دراك، ومنه تكون الحركة، والحياة.. والظلام جاهل، عاجز، جماد، موات. لا فعل له، ولا تمييز، والنور جنس واحد. والنور لا تمييز في إدراكاته، وحواسه متفقة، فسمعه، وبصره، وسائر حواسه، شيء أوحد، فسمعه هو بصره، وبصره هو ذوقه[3].

كذلك نجد الغنوصية الثنائية في "المانوية" والمانوية نسبة إلى مؤسسها "ماني بن فاتك"[4] وكان يقول: إن مبدأ العالم كونان:

أحدهما: نور، والآخر: ظلمة. وكل منهما منفصل عن الآخر، فالنور هو العظيم الأول ليس بالعدد، وهو الإله الحق، وله صفات: العلم، والعقل، والغيب، والفطنة، والكون الثاني هو الظلمة، ولها عناصر: الضباب، والحريق، والسموم، والظلمة، والكونان متجاوران، ولو أنهما في فعلهما وتدبيرهما

---

(١) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام جـ١، صـ١٩٣.

(٢) ديصان: ظهر بعد "مرقيون" بثلاثين عاما، وآمن ديصان بالأصلين القديمين: النور، والظلمة، وانقسمت الديصانية إلى فرقتين: فرقة تقول: إن النور خالط الظلمة باختيار منه، لكي يصلحها ويعيدها نورا، وفرقة تقول: إن الظلام احتال، حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته، فاجتهد النور حتى يتخلص منه، فاعتمد عليه، فلجج فيه بغير اختياره، ولذلك فإنه يحتاج إلى زمان لكي يتمكن من التخلص منه "ابن النديم الفهرست" صـ ٢٨٨.

(٣) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام جـ١، صـ١٩٤.

(٤) ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرفر بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام "الشهرستاني الملل والنحل" جـ١، صـ ٢٩٠.

متضادان[١].

ونجد أيضًا الغنوصية الثنائية في "المزدكية" نسبة إلى "مزدك"[٢] وقد أرجع مزدك الأصلين القديمين إلى أصول ثلاثة: الماء، والنار، والأرض. اختلطت فحدث من اختلاطها على نسب متساوية: مدبر الخير. وعلى نسب غير متساوية مدبر الشرر المادة الأولى: مادة الخير. مادة صافية. والمادة الثانية: مادة الشر. مادة كدرة[٣].

وبعض العلماء الباحثين يعد فرقة "المندائية" من فرق الغنوصية، لأن هذه الفرقة تقول: بأن فوق السماوات، وفيما وراء ملكوت الكواكب، يوجد عالم النور، حيث تستقر الحياة - الواحد ملك النور المتسامي تحيط به الكائنات المقدسة - ومن هذا العالم عالم النور. اشتقت روح أدم وأرواح أبنائه من الماندائيين. وفي أسفل مملكة الظلام في أسفل سافلين.. نزل الماندائيون إلى الأرض، ولن يخلصهم إلا كائن إلهي ساعة الموت. يخلص الروح من البدن الكثيف، ويعيدها إلى عالم النور[٤].

وفي القرن الأول قبل الميلاد، وفي القرنين الأول والثاني بعد الميلاد. نشاهد تيارًا جديدًا يغزو الفكر اليوناني. ويكاد يتميز تميزًا شديدًا جدًا عما قبله من تيارات الفلسفة اليونانية. وهذا التيار قد بلغ أوجه عند شخصية فلسفية هي شخصية "افلوطين"[٥]، ولما كانت الغنوصية سائدة في القرنين الثاني والثالث. خصوصًا بعد

(١) الدكتور علي سامي النشار: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام جـ١، صـ١٩٥.

(٢) مزدك ظهر في أيام "قباذ" والدانو شروان، ودعاه قباذ إلى مذهبه فأجابه، واطلع أنوشروان على خزيه وافترائه، فطلبه فوجده فقتله "الشهرستاني، الملل والنحل" جـ١، صـ ٢٩٤.

(٣) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، جـ١، ١٩٧.

(٤) المصدر السابق، جـ١، صـ ١٩٧، ١٩٨.

(٥) افلوطين، ولد بمصر، في مدينة (ليقوبوليس) وكان ميلاده في أرجح الأقوال سنة ٢٠٤ أو سنة ٢٠٥ بعد الميلاد، ويبدو أنه بدأ دراسة الفلسفة، في سن متقدمة، ورحل إلى الشرق، واتجه إلى الغرب، وذهب إلى روما، الدكتور عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، صـ ١٢٠،

الميلاد وبينها وبين الأفلاطونية المحدثة كثير من التشابه. فقد اندفعت إلى الفلسفة الأفلاطونية المحدثة لتؤثر فيها[١]. وتنطلق منها لنشر افكارها.

وإذا ذهبنا إلى "الهرمسية"[٢] وجدنا أن الغنوصية تتعلق بها، فتجعلها هرمسية غنوصية. وإذا كانت الهرمسية تقول: بإلهين اثنين أحدهما مسخر للآخر:

- الإله المتعالى الذي لا يصدق عليه وصف. ولا تدركه العقول ولا الأبصار، وبالتالي فهو لا يعرف إلا بالسلب.

- الإله الخالق الصانع، وهو الذي خلق العالم، ولذلك فهو يتجلى فيه.

فإن الغنوصية الهرمسية تؤكد: أن الطريق إلى معرفة الله هو النفس، لأنها جزء من الإله، إنها تستطيع معرفته حق المعرفة، عندما تتمكن من الاتصال به، والعودة إليه.

وهذا الطريق، طريق معرفة الله بالنفس لا بالعقل، يقول به جميع الغنوصيين (العرفانيين) غير أن ما يميز غنوصية الهرمسية، هو تأكيدها على الأصل السماوي -الإلهي: النفس- والنصوص الهرمسية تشرح ذلك من وجهين:

القول بأن النفس هي من أصل إلهي لكونها "بنت الله"، والثاني القول بأنها عبارة عن مزيج، من عناصره "شيء من الله نفسه"[٣].

ويمكن أن يقال: إن هناك عدة فرق واعتقادات، يطلق عليها اسم

١٣١، ط دار القلم، بيروت ١٩٧٩.

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، صـ ١٠٩، ١٣٢، ط دار القلم بيروت ١٩٧٩م.

(٢) الهرمسية، نسبة إلى "هرمس" المثلث الحكمة، او المثلث بالنبوة، والحكمة، والملك، او العظيم ثلاث مرات، وهرمس في الأصل اسم لأحد آلهة اليونان، اما الهرمسية كعلوم وفلسفة دينية، فترجع إلى مجموعة من الكتب والرسائل تنسب إلى هرمس المثلث بالحكمة، الناطق باسم الإله، الدكتور محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، صـ ١٧٤، ١٧٥.

(٣) الدكتور محمد عابد الجابري، تكون العقل العربي صـ ١٧٦، ١٧٧.

العرفانية أو الغنوصية، وكلها رغم التفاوت بينها، تجمعها خصائص معينة، نعم جميع هذه الفرق، وأهم هذه الخصائص: القول بتجسيد الإله، والاعتقاد بالطقوس والأسرار، وبالعدد سبعة.. باعتبار أنه يمثل آخر الفيوضات.

أما تجسيد الإله فجميع الفرق الغنوصية تؤمن بإله مخلص، يهبط من السماء لتخليص البشر من شرور الحياة، ويسير على الطريق الذي سار فيه الشر، ثم يموت وينهض من الموت.. وفي الفرق العرفانية كذلك عدد من الطقوس الشكلية في الملابس، والمطاعم، والسلوك، ويلحق بهذه الطقوس أسرار دينية، ورموز دالة على معان مطوية عن غيرهم.

أما الاعتقاد بالعدد سبعة، فهم جميعًا يعتقدون أنه يمثل آخر الفيوضات أو القوى السبعة، والمتمثلة بالكواكب السبعة التي تدير العالم، وتؤثر فيه، وهذه الفرق جميعها لها طقوس معينة تدفع للقبول بمسلكها، تسمى "الاجتباء" ومن أجل ذلك لا تباح أمور العقيدة إلا للمجتبين الذين قبلهم رؤساء الفرق، وصرحوا لهم بالأسرار بمقادير مختلفة[١].

إن الغنوصية تيار خفي، يسعى إلى الفرق، والمذاهب والمعتقدات، ليتعلق بها واستطاع هذا التيار أن يؤثر في اليهودية والمسيحية، وغيرهما.. وقد استطاع تيار الغنوصية أن يدخل الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد كان العرب مجاورين لأهل فارس، وبينهم وبين أهل فارس صلات ومعاهدات، وفي ظل هذه الصلات والمعاهدات دخل الفكر الغنوصي الجزيرة العربية، ويذكر الدكتور النشار: أن اليعقوبي قال: "وتزندق منهم -أي العرب- قوم فقالوا بالثنوية" وقبيلة كنده قد تزندقت. وكان سيدها حجر بن عمرو الكندي، شيخ قبيلة كندة. وملكها توفي عام ٤٥٠ ميلادية[٢].

---

(١) الدكتور محمد احمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي صـ ٤٤.
(٢) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام جـ١، صـ١٥٨.

الغنوصية والإسلام

لقد عرفنا من خلال الأقوال والمعتقدات -التي عرضنا لها في إيجاز دقيق- أن الغنوصية، حركة تجري وراء الفلسفات، والعقائد، والأديان، لتنفذ منها، وتتخذها مطية لتحقيق مسارها.

وعرفنا كذلك أن الغنوصية أثرت في الأفلاطونية الحديثة. كما عرفنا أنها دخلت الجزيرة العربية قبل الإسلام، واتصلت بأهلها.

ولهذا كان ظهور الإسلام ضرورة لإنقاذ الإنسانية، من وهدة الضياع في تلك المتاهات، التي تعصف بالإنسان، ولولا هذه الضرورة، ما اتصلت السماء بالأرض، برسالة جديدة.. هذا الاتصال الذي ختم ببعث الرسول محمد ﷺ بدين للناس جميعًا.. وذلك حيث قضت الضرورة المطلقة بإرساله ليخرج العالم كله. مما كان يتخبط فيه.. من باطل، وضلال.

نعم كان العالم في حاجة ملحة لدين جديد. بعد أن خفت صوت الرسل السابقين، وضاعت معالم الرسالات الإلهية، التي أرسلها الله لعباده، لا فرق في ذلك بين بلاد العرب إذ يوجد بيته المحرم، وبلاد الروم المهد الثاني للمسيحية، وفارس إذ كانت المانوية، والزرادشتية.. والمزدكية، وغير هذه البلاد وتلك من أقطار العالم المختلفة[1].

لقد امتد الإسلام -بعد ظهوره في الجزيرة العربية- في مشارق الأرض ومغاربها، وانتشر في أقل فترة زمنية، على أكبر مساحة مكانية، مما سبب قلقًا للفرق الغنوصية، وجمعياتها السرية.

ويمكن أن نعرض نقاط جوهرية، تعتبر أمثلة تكشف عن اتصالات تمت

---

(١) الدكتور أحمد السايح، هذا هو الإسلام، صـ ٤، ط دار الثقافة الدوحة، قطر ١٩٨٩م.

بين المسلمين والغنوصية، والتعرف على هذه النقاط أمر ضروري حتى نتبين - فيما بعد- موقف الإسلام الفكري والعملي. إزاء هذه التيارات والجمعيات.. ونستطيع أن نوجز الأمثلة في النقاط التالية.

١- ذكر اليعقوبي: أن قبائل كندة وفي الكوفة بالذات. كانت في الإسلام غنوصية، على أشد ما تكون الغنوصية[١].

٣- وفي مطلع الإسلام، ظهر غنوصي عنيف، هو مسيلمة المتنبي الكذاب، وقد كشف عن عداوته للإسلام، محاولا القضاء عليه، في مهده، وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى. كما يذكر الجاحظ: أن مسيلمة طاف قبل التنبي بالأسواق التي كانت بين دور العجم والعراق. يلتقون للتسوق والبياعات، كنحو سوق الإبلة، وسوق حكمة الأنبار، وسوق الحيرة، يلتمس الحيل، والبيرنجات، وأخبار المنجمين، والمتنبئين[٢].

ويعلق الدكتور علي سامي النشار على هذا النص الذي ذكره الجاحظ، فيقول: من الواضح إذن أن مسيلمة، قد تعلم الغنوصية هناك، وعاد بها إلى اليمامة، وقد قاوم مسيلمة وأتباعه الإسلام مقاومة عنيفة، حتى قضى عليهم خالد بن الوليد، وقد وضع البيروني مسيلمة في نسق المتنبئين الغنوصيين[٣].

٤- ويذكر الدكتور النشار: أن الإسلام حين دخل بلاد فارس وجد الزرادشتية في كل مكان. كما وجد بيوت نارها هنا وهناك. وقابل المانوية وغنوصها، وكان غنوص المانوية والمزدكية أخطر غنوص على الفكر الإسلامي.

---

(١) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، جـ١، صـ ١٩٨.
(٢) الجاحظ: الحيوان، جـ ٤، صـ٣٦٩، انظر: الدكتور النشار، مرجع سابق، جـ١، صـ ١٩٩.
(٣) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، جـ ٢، صـ١٩٩.

٥- ووجد المسلمون في البلاد التي انتشر فيها الإسلام جمعيات غنوصية سرية، وجدت منذ زمن بعيد. وحاولت نسخ الأديان الوحي بها من يهودية، ومسيحية، وإسلام، عن طريق ضرب بعضها ببعض. ثم ضربها جميعًا ببعض الآراء الفلسفية، لفتح الطريق أمام ما يسمونه "الدين العالمي"، وهو في ظنهم دين يقوم على الإشراق والكشف، وهو يرجع عند بعض هؤلاء إلى نوع أصيل من الإلحاد، لأنه يبدأ بخلع طابع القداسة على بعض أفراد البشر، ثم يغلو في تقديسهم، حتى يسهل على العامة قبول فكرة حلول الله فيهم كما حدث في المسيحية[1].

٦- الأثر الفلسفي الأفلاطوني كان له أثر رئيسي في الفكر الباطني في العالم الإسلامي، إلا أن للمؤثرات الباطنية الأخرى الموجودة عند من يسمون بالعرفانيين أثر لا يستهان به في أفكار هذه الحركات الباطنية كالصابئة، والثنوية، والمانوية، والديصانية، والهرمسية، وغيرهم، والذين يمكن أن نعرفهم باسم الباطنيين القدماء، لكثرة ما في مذاهبهم من الإسرار، والاعتقادات، والرموز، وكذلك ينبغي أن نذكر أن هذه المذاهب نفسها كانت من قبل وليدة الفلسفات الشرقية القديمة القائمة على العلوم السرية، وتنظيم الجمعيات السرية[2].

٧- إن المؤتمرات والأفكار توضح لنا مصادر الفكر الباطني الرئيسية، والتي أثرت بدورها على اليهودية، والنصرانية، وانتقلت بعد ذلك إلى العالم الإسلامي، ويمكن القول بأن المذهب الإسكندراني الذي انتشر في الإسكندرية بين القرن الثالث قبل الميلاد، والقرن الثالث بعد الميلاد، وانبثقت عنه الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والذي يقوم على خصائص معينة أهمها: الدقة في

---

(١) الدكتور محمود قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية، صـ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) الدكتور محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، صـ٣٧.

التفكير، والغموض في المعاني، والتعبير عن الحقائق بالرموز والإشارات، له أهمية رئيسية في تاريخ الباطنية في العالم الإسلامي[١].

٨- كانت الغنوصية خطرًا جسيمًا، على العالم الإسلامي، سواء من الناحية الحربية، أو من الناحية الفكرية، وقد وجهت الغنوصية ضربتها الحربية للإسلام والمسلمين في بعض المواقع، وحارب (المقنع) جيوش المسلمين حربًا عنيفة حتى قتل[٢].

وفي عهد المعتصم قام "بابك" الخرمي، بضرب المسلمين أفظع الضربات وكاد أن يقضي على الدولة العباسية، وقتل من المسلمين أعدادًا هائلة، وظل يحاربهم عشرين عامًا، حتى جاء "الإفشين" قائد المعتصم في عام ٢٢٠هـ وقضى على جيوش "بابك"[٣].

٩- كان هناك عدد كبير من الغنوصيين، عاشوا في العالم الإسلامي وزاد عددهم زيادة كبرى وفي بعض الجهات، وقد اعتنق بعض حكام المسلمين المانوية وقام عدد كبير من الشعراء، والكتاب. بنشر المانوية، والديصانية، والمرقونية[٤].

١٠- نفذت المانوية وبشتى الطرق إلى العالم الإسلامي، في محاولة للانقضاض عليه، وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية وتفريقها إلى عرب وفرس، وكان أكبر ممثل لهذه الحركة العدائية عبد الله بن المقفع أكبر أعداء الإسلام على الإطلاق، والذي عمل على نشر العقائد المزدكية بشتى

(١) المصدر السابق، صـ ٣٧.

(٢) الدكتور علي سامي النشار. نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، جـ ١، صـ ٢٠٧.

(٣) انظر: الدكتور علي سامي النشار، وسعاد علي عبد الرازق، التفكير الفلسفي في الإسلام، شخصيات ومذاهب، صـ ٥٠.

(٤) انظر: الدكتور علي سامي النشار، وسعاد علي عبسد الرازق، التفكير الفلسفي في الإسلام مذاهب وشخصيات، صـ ٤٩.

الوسائل[١].

١١- روجت المانوية، داخل المجتمع الإسلامي، لعقيدة تتعارض تمامًا مع الإسلام دينًا ودولة، لقد روجت لعقيدة تقول: بأن العالم نشأ من امتزاج للنور بالظلمة، وهما معًا قديمان، وهذا يمس مسًا جوهريًا مبدأين أساسيين في العقيدة الإسلامية: وحدة الخالق من جهة، والخلق من عدم، من جهة ثانية، ومن ناحية أخرى ركزت المانوية على أن الخلاص -تخليص النور من الظلمة- إنقاذ البشرية من الشرور والآلام، إنما يكون بالتطهير الذي طريقه الزهد في الدنيا، وقمع الشهوات، وهدفه الاتصال بالله مباشرة وفي هذا إنكار للنبوة، أو على الأقل استغناء عنها[٢].

١٢- أثرت الغنوصية في عدة طوائف باطنية ظهرت بالعالم الإسلامي وكان للأفلاطونية الحديثة -غنوص- تتمثل فيه كل صفات المذاهب الغنوصية، وقد تلاقى هذا الغنوص مع غيره من غنوصات مختلفة[٣].

ونستطيع أن نقول: أن مصادر الفكر الباطني، إنما هي أفكار دخيلة على عقائد الإسلام، تستر أصحابها بها هادفين من وراء ذلك هدم المجتمع الإسلامي، بعقائد وأساطير حطمها الإسلام، فلم يجدوا أمامهم إلا هذه الطرق، التي تدل على الحقد الدفين في قلوبهم ونفوسهم على هذا الدين وأهله[٤].

مواجهة الإسلام للتيار الغنوصي

بداية يحسن أن نتأمل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

---

(١) المصدر السابق، صـ ٤٩.

(٢) انظر: الدكتور محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، صـ ٤٩.

(٣) انظر: الدكتور محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، صـ٤٤.

(٤) المصدر السابق، صـ ٤٥.

شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[1].

والمتأمل في هاتين الآيتين، يجد أن القرآن يتحدث عن أخطر منزلق تهوي به الكلمة، ويتداعى الحرف في هاويته السحيقة، وهو التضليل، والخداع، والتمويه، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة، عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء له بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف، الذي تحمله هذه الدعوات الهدامة.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت في هاوية الضلال والإنحراف والفساد الخلقي، والعقيدي، والاجتماعي، بسبب هذه المذاهب، والتيارات الخداعة التي يرقص السذج والجهال على نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها، وأناقة ظاهرها.

ولكم عانى الإنسان، من أولئك الشياطينن صناع المذاهب الضالة، المنحرفة التي قادت البشرية إلى هاوية الضلال، والانحراف، فلقد كان للتيارات الغنوصية في كل عصر دورها التخريبي في حياة الإنسان، لقد اتخذت الغنوصية، صبغة الفلسفة والنظرية، والمبدأ الذي يعتنقه الأتباع ويدافعون عنه، وينقادون له:

لذا كانت الإنسانية في ظل الإسلام بحاجة إلى توعية موجهة مخططة تكشف لها زيف هذه المبادئ والنظريات، وتعمق وعيها وحسها النقدي قبل الاستجابة والوقوع في حبائلها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ١١٢، ١١٣.

ولكم كان القرآن دقيقًا وهو يحدثنا في الآيتين السابقتين[١] عن الترابط الدقيق المتقن عن "زخرف القول.. الإيحاء.. الاصغاء.. الاقتراف"، ليؤكد أن كل تلك المعاني تشكل حقائق موضوعية مترابطة، ومتلازمة العلاقة.

والقرآن يربط هذا -كما ترى- بين هندسة الكلمة وبناء الفكرة، والفلسفة التي يستعملها المضل، فيخدع بها الذين لا يملكون وعيًا، ولا عقيدة ولا مبدءًا سليمًا في الحياة، يوحي إليهم بالرضا والقبول والاستسلام، ويخدعهم بهذه الصيغة البنائية المزخرفة، للنظريات، والأفكار، والمبادئ، فيؤمن بها المخدوعون، ثم يبنون سلوكهم، وتفكيرهم، وكل أنشطة حياتهم، على أساس هذه الأفكار والمبادئ التي خدعتهم، وغررت بهم..

لقد أدرك العباسيون خطورة التيارات الباطنية، فتصدوا لمحاربتها بدون هوادة، وكان المهدي أشد خلفاء الدولة العباسية حربًا عليها، يقول المسعودي: "وأمعن المهدي في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين، لظهورهم في أيامه، وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته، لما انتشر من كتب ماني، وابن ديصان، ومرقيون، مما نقله ابن المقفع وغيره، وترجمت من الفارسية، والفهلوية إلى العربية.. وكان المهدي أول من أمر أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين، فأقاموا البراهين على المعاندين، وأوضحوا الحق للشاكين[٢]".

ويؤكد الدكتور النشار: أن المتكلمين الأوائل هم أول من قاوم الطوائف الغنوصية مقاومة عنيفة، بل يكاد يكون السبب الحقيقي لقيام المتكلمين، هو مناهضة الغنوص[٣].

ويقول الغزالي في تعريف علم الكلام ونشأته: "علم الكلام مقصوده حفظ

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ١١٢، ١١٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، جـ٨، صـ ٢٩٣ن ط بيروت.

(٣) الدكتور علي سامي النشارن نشأة الفكر الفلسفي في الإسلامي جـ١، صـ ٢١٠.

عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله، عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورًا مخالفة، فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها، فأنشأ الله طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصر السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله"[١].

وعلم الكلام يأخذ بمنهج البحث، والنظر، والاستدلال العقلي كوسيلة لإثبات العقائد الدينية، التي ثبتت بالوحي ولهذا فهو يعرف أحيانًا: بعلم النظر والاستدلال.. ووظيفة علم الكلام: إنما هي دفع الشبه، ورد الخصوم، والاحتجاج العقلي على صحة العقائد الإيمانية.

ومن العلماء من يرى أن لعلم الكلام وظيفتين مزدوجتين، هما:

أولاً: إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية.

ثانيًا: دفع الشبه ورد الخصوم عنها[٢] كما يرى صاحب كتاب مقالات الفرق الإسلامية: أن النظر العقلي في العقائد الدينية بدأ في الإسلام على أيدي المعتزلة وفي ذلك يقول طاش كبره زاده: "اعلم أن مبدأ شيوع الكلام كان على أيدي المعتزلة، في حدود المائة من الهجرة"[٣].

إذن بدأ النظر العقلي في الدين بظهور المعتزلة وكان ذلك في حوالي نهاية القرن الأول الهجري، وبداية القرن الثاني، ومهما يكن من اختلاف في سبب ظهور النظر العقلي في العقائد فإنه كتيار فكري، ومنهج عقلي، كان لابد من

---

(١) الغزالي، المنقذ من الضلال، صـ ٨٧-٨٩، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥م.

(٢) الدكتور: عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، صـ ١٣٥، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة، الجزء الثاني، صـ ٣٧، ط بيروت.

ظهوره، وذلك لمجابهة التحديات الفكرية التي لاقاها الإسلام عندما امتد سلطانه إلى خارج الجزيرة العربية، وعندما اشتد الصراع الفكري بينه وبين أصحاب الأديان الأخرى من يهود، ونصارى ومانويين، وزرادشتيين، وصابئة، ودهريين(١).

لقد فتح الإسلام -كقوة سياسية- أرض الديانات القديمة، وأثبت كيانه فيها، إلا أن الإسلام كتصور روحي خاص، استمر يناضل فكريًا أهل الأديان والعقائد المختلفة لمدة طويلة اشتبك خلالها المخلصون من رجال المعتزلة في حرب ضروس مع أصحاب الأهواء والبدع من الزنادقة، والدهرية، والمشبهة، والحلولية، مثلوا فيها معارضة فكرية قوية، صانوا فيها البناء الروحي والفكري للإسلام من خطر غزو تلك الآراء الغريبة التي أرادت أن تشوه صفاء العقيدة الإسلامية(٢).

لقد كان المعتزلة "أيديولوجية الدولة" لقد كانوا يعملون على نشر وتكريس سلطة العقل، ولابد لكي يقدر المرء الدور الحاسم الذي قام به المعتزلة في تحصين العقل وتطوير العقلانية الإسلامية من أن يستحضر في ذهنه تلك المعارك الضاربة التي خاضوها في واجهتين مختلفتين.

فمن جهة تمكن المعتزلة من رد هجمات المانوية وتفنيد آرائها وإرغامهم على الاحتكام إلى العقل. الشيء الذي يعني نفي الغنوص منذ اللحظة الأولى ومن جهة أخرى استطاع المعتزلة من خلال مشاداتهم الكلامية أن يحدثوا تطورًا مهمًا وأساسيًا داخل الفكر السني ذاته، فكانت الماتريدية، وكانت الأشعرية، ليس هذا فحسب، بل استطاع المعتزلة، من خلال معركتهم المزدوجة هذه، أن يستوعبوا جوانب من المعقول العقلي، مما طعم الرؤة

---

(١) الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص١٤٤.
(٢) المصدر السابق ص١٤٤، ١٤٥.

العقلانية، وهيأها مع الأشاعرة خاصة بعد أن امتصوا منهج المعتزلة للارتفاع إلى المستوى الذي مكن العقل الإسلامي من التعامل مع منطق أرسطو، وتبني قواعده الصورية[١].

وتقول المستشرقة الألمانية سوسنة فلزر: "ومما خدمت به المعتزلة دين الإسلام أنها جادلت الثنوية، وردت مقالاتهم، ووطأت لأهل السنة الطريق إلى إثبات عقيدتهم عند مجادلتهم للثنوية ولغيرها من الفرق"[٢].

وفي إيجاز دقيق: قام المعتزلة بنقد العقائد الغنوصية، وحملوا لواء هذا العمل، وفي مقدمة هؤلاء: واصل بن عطاء.. وعمرو بن عبيد.. والعلاف.. والنظام. فقد أعد هؤلاء كتبًا في الرد على الملاحدة، والزنادقة، والدهرية، والثنوية، واشتركوا كذلك في مجادلات ونقاش عقلي مع أصحاب هذه المذاهب، وكان واصل بن عطاء يرسل البعثات التبشرية إلى أطراف الدول المترامية لمجادلة أهل الأديان المختلفة، وتبديد الشكوك التي كانوا يثيرونها ضد الدين الإسلامي، فناظر عمر بن عبيد جرير بن حازم السمني في البصرة، واشترك واصل بن عطاء في مناظرة مع بشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، وكلاهما من الثنوية المعروفين وقام أيضًا بجدالهم: الخياط. والجاحظ، والقاضي عبد الجبار الهمذاني، في كتابه "تثبيت دلائل النبوة"، ثم تولى الأشاعرة مهاجمتهم، وخاصة فيلسوف المذهب الأشعري أبو بكر الباقلاني، في كتابه "التمهيد" ثم رد عليهم الغزالي في كتابه "فضائح الباطنية" و"القسطاس المستقيم" ومحمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني في كتابه: "كشف أسرار القرامطة"، ثم قام الشيعة الإمامية أيضًا بنقض

---

(١) الدكتور محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص١٥١. وانظر كذلك: الدكتور محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ص ٦٧-٦٩، ط دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٣م.

(٢) انظر: الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ص ١٢٦.

الاتجاهات الغنوصية، وخاصة الفارسية منها. وقد كانت هناك مناقشات بين الإمام جعفر الصادق وبين كثير من المانوية، ولهشام بن الحكم كتاب في نقض الثنوية "الرد على أصحاب الاثنين"[١].

والحقيقة التي يحسن أن ندركها، ونؤكد عليها: هي أن المسلمين الذين أبدعوا عقلانيتهم الإسلامية المتميزة "علم الكلام الإسلامي" الممثل لفلسفة الإسلام منذ النصف الثاني من القرن الهجري الأول، وقبل ترجمة اليونانيات هؤلاء المسلمون قد اتجهوا إلى ترجمة الفلسفة اليونانية، وترجمة عقلانية أرسطو أولا وبالتحديد، لا ليتخذوا منها فلسفة لهم وللإسلام، وإنما ليردوا بها - كسلاح يوناني- على الغنوصية التي هي تأثيرات يونانية مزجت بروحانية الشرقيين.. فأنصار الغنوصية كانوا أثرًا يونانيًا في الشرق، وامتدادًا شرقيًا لفكرية اليونان فعمد العلماء المسلمون إلى ترجمة العقلانية اليونانية ليردوا بها على أنصار اليونان[٢].

لقد كانت الهلينية والغنوصية الباطنية هي الغزو الفكري الذي أصاب به الغرب اليوناني الشرق، منذ انتصار الإسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ق.م) وبنائه إمبراطوريته الشرقية. ولقد غبشت هذه الهلينية توحيد المسيحية الشرقية الأولى. فلما ظهر الإسلام خاضت ضده المعارك في البلاد التي فتحها المسلمون، لكن الإسلام بعد أن بلور عقلانيته المتميزة تقدم فاستعان بالعقلانية الأرسطية في نضاله ضد الهيلينية والغنوص، فكانت ترجمة الفلسفة اليونانية استعانة بحقيقة الفكر اليوناني[٣].

---

(١) الدكتور علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، جـ١، صـ ٢٠١، ٢١١. وانظر: الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، صـ ١٣٧.

(٢) الدكتور: محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، صـ ٢١٣.

(٣) المصدر السابق، صـ ٣١٤.

يقول المستشرق الألماني بكر "كارل هينرش" (١٨٧٦-١٩٣٩): "إننا نرى كفاح المسيحية من أجل استقلالها، وتوكيد ذاتها بإزاء الروح اليونانية المجسدة في "الغنوص" يتكرر من جديد في الإسلام في القرون الأولى، تحت أسماء أخرى، فكما كانت المسيحية الأولى معادية للروح الهلينية، كان الإسلام في الصدر الأول على العموم معاديا هو الآخر للروح الهلينية والميزة الرئيسية للقرآن أنه كان يؤثر تأثيرًا مضادًا للروح الهلينية في عصر تغلغلت فيه الهلينية، وفي اللحظة التي تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول بدأ الصراع والتصادم.

إن المانوية والزرادشتية كانتا بالنسبة للإسلام عدوتين خطيرتين كالمسيحية، وأن غنوص المانوية، والمذاهب الشبيهة بها كانت خطرة على الإسلام خطرا مباشرًا، لذلك نرى أن أول مدرسة كلامية في الإسلام ونعني بها المعتزلة، قد استفادت بعضا من أصولها، ومسائل بحثها، عن طريق كفاحها ضد المانوية.

وفي كل هذه الألوان من الكفاح تكونت جبهة كفاح فريدة في بابها.. فالدولة والمذهب الديني الرسمي يسيران هنا، كما يسيران في كل مكان، جنبًا إلى جنب، وفي صف واحد، لكنهما في كفاحهما ضد الغنوص الذي لا يعرف لأحد بسلطان، يهيبان بالروح اليونانية الحقيقية "الفلسفة اليونانية" كي تساعدهما.

لقد كان الغنوص يحارب الإسلام دينيًا وسياسيًا، وفي هذا النضال استعان الإسلام بالفلسفة اليونانية، وعني بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية.. إذن يتحالف الإسلام مع التفكير اليوناني والفلسفة اليونانية ضد "الغنوص" الذي كان خليطًا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق، وعلى مذاهب الخلاص.. ومن هنا نستطيع أن نفسر حماسة الخليفة المأمون على

ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية.

وقد اعتاد الناس أن يفسروا هذا، حتى الآن بإرجاعه إلى ميل المأمون إلى العلم وحبه له، لكن إذا كانت الرغبة في ترجمة كتب الأطباء القدماء، قد نشأت عما اشتهرت به المدارس الطبية الكبرى، من حاجة عملية إلى هذه الكتب فلعل ترجمة كتب أرسطو أن تكون قد نشأت بالضرورة عن حاجة عملية كذلك.

وإلا فإنه إذا كانت المسألة مسألة حماسة للعلم، ورغبة خالصة في تحصيله فحسب لكان "هوميروس" أو أصحاب المآسي من بين من ترجمت كتبهم أيضًا. لكن الواقع هو أن الناس لم يحفلوا بها، ولم يشعروا بحاجة ما إليها[1].

فترجمة الفلسفة اليونانية، والاهتمام بعقلانية أرسطو خاصة إنما كان استعانة بالعقلانية اليونانية الصريحة لمواجهة الغنوصية، ومنهجها الذوقي للمعارف الربانية.

حاولت "الغنوصية" أن تنال من العقائد الإسلامية، وأن تصرف الناس إلى عقائدها، فكان أن تصدى التيار العقلاني الإسلامي لمذاهبها، ومقولاتها، ونظرياتها يعلم الكلام الإسلامي، واتجه المدافعون عن الإسلام كذلك إلى ترجمة الفلسفة العقلية اليونانية، ليردوا بها على النزعة الغنوصية بكل اتجاهاتها.

فكان الاتجاه الأكبر بعقلانية أرسطو سبيلا لمواجهة خطر الغنوصية ثم اتجهت حركة الترجمة الإسلامية إلى ترجمة أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ق.م) لما لتدينه من أثر في تدين العقلانية الاوسطية. كي لا تفضي العقلانية

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، صـ ٧-٩-١١: مجموعة مقالات مترجمة عن الألمانية والإيطالية، ط القاهرة ١٩٦٥م.

الأرسطية الخالصة إلى الإخلال بالتوازن لحساب النزعة المادية والإلحادية[١].

ولعل النتيجة التي يخرج بها الباحث تصل بنا إلى:

١- أن التيارات الغنوصية من أخطر التيارات علىّ المسلمين، وهي تتحين الفرص المناسبة، لتندس بين أفكار مختلفة.

٢- إن وراء هذه التيارات أيدي خبيثة تسيرها نحو أهداف وغايات تعمل على تشويه الإسلام في نفوس أهله.

٣- المواجهة الصحيحة لهذه المذاهب تكون بالعقلية الإسلامية، والمناهج الكلامية والفكر الإسلامي.

٤- إن عزة الأمة ومنعتها وازدهارها الحضاري لم تتحقق إلا بعطاء عقلها، وإبداع عقلانيتها.

---

(١) الدكتور محمد عمارةن الغزو الفكري وهم أم حقيقة، صـ ٢٣١.

الماسونيـة

الماسونية كلمة غامضة في لفظها ومعناها، كما هي غامضة في الدعـوة التي تقوم تحت رايتها، وهذا الغموض الذي تتحرك في ظلامـه هـذه اللفظة هـو مقصود لذاته، إذ يتعامل بها الناس، وهـي في هـذا القنـاع الكثيـف مـن الغمـوض، الذي لا يرفع السر عنه أبدًا، بل تظل هكذا ملفقة في هذا الضباب تغري كثـيرًا من الناس بالجري وراءها، والبحث عن هذا العالم المجهول الذي ترمـز إليـه رمـز الكهان والسحرة والمشعوذين، بمـا يتحدثـون بـه إلى النـاس: إذ يكـون للفظـة أو العبارة محـامل كثـيرة مـن المعاني المتناقضـة المتضاربـة، تذهـب بهـا التـأويلات كل مذهب لا يردها إلى عقل أو منطق[١].

وإذا نظرنا إلى اللفظة "الماسونية" في ذاتـها، وإن لم تكـن قـد عرفـت اللغـة التي جاءت منها، ولا الأصل الذي اشتقت منه، وجدنا أن معظم حروفها مشكلة مـن كلمـة (موسـى) عليـه السـلام، المرسـل إلى بـني إسـرائيل بـالتوراة الـتي هـي شـريعتهم إلى اليـوم، فـالميـم في الماسـونية هـي: الميـم في موسـى، والألـف هـي الـواو منقلبـة ألفًا، والسين هي السين والواو هي: الواو، والنون هي النون التي تلحق بياء النسب، مثل: النون في رباني، نسبة إلى رب[٢].

<u>والماسونية لغـة معناهـا</u>: البنـاؤون الأحـرار، وهـي في الاصطلاح: منظمـة يهودية صهيونيـة سرية إرهابيـة غامضـة محكمـة التنظيـم، تهـدف إلى ضمـان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والتخريب والفساد جل أعضائـها مـن الشخصيات المرموقـة في العـالم، يوثقـهم عـهد بحفـظ الأسـرار بمـا

---

(١) عبد الكريم يونس الخطيب، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام صـ ٤٤٩.
(٢) المصدر السابق.

يسمى بالمحافل الماسونية للتجمع والتخطيط والتكليف بمهمات الأمور(١).

وفي أوائل القرن السابع عشر الميلادي تكونت جمعية سرية في فرنسا تدعى "جمعية البنائين الصادقين" واتخذت هذا اللقب من كلمة "الماسونية" وهي مكونة من لفظين:

الأول ومعناه "فران" وهي كلمة عبرية معناها في اللغة العربية: الصادق.

والثاني "ماسون" أي: الباني؛ ومعنى الكلمتين معًا في العبرية "البناؤون الصادقون"(٢).

واليهود هم واضعوا هذه اللفظة "الماسونية" وهم الذين عملوا على تجسيدها في صورة هياكل يجتمع الناس فيها من مختلف الأديان والمذاهب والمشارب والأقطار، حتى صارت "الماسونية" دعوة من تلك الدعوات الرائجة في جميع أنحاء العالم: فلا تكاد تخلو دولة من دول العالم كله من أن يكون بها أعداد كثيرة من المحافل الماسونية المنتشرة في جميع مناحيها(٣) وللماسونية أسماء أخرى اختلفت حسب اختلاف الأمكنة والأزمنة والفروع المتفرعة منها، كالمنورين في ألمانيا، والفحامين في إيطاليا(٤).

وللماسونية تعاريف كثيرة، أهمها:

- أنها جمعية سرية قديمة لم تعرفها بلاد الإسلام إلا في العصور المتأخرة، آخذة إياها عن البلاد الغربية من فرنسية وإنكليزية وإيطالية وألمانية

---

(١) الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة في الأديان، صـ ٤٤٩.

(٢) د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة، صـ: ١٣٦، ط الأولى، دار الاعتصام بالقاهرة.

(٣) عبد الكريم الخطيب، الغزو الفكري صـ٤٤٩.

(٤) مجلة "الجندي المسلم" السنة العاشرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، العدد ٢٧، ط: وزارة الدفاع والطيران، الرياض.

وغيرها[١].

- الماسونية لون من نشاط اليهود المعادي للأديان عمومًا وللإسلام على وجه الأخص، وهي: جمعية سرية أنشأها اليهود ليمارسوا من خلالها الأعمال التي توصلهم إلى أهدافهم وأغراضهم[٢].

- أن الماسونية شركة سرية غايتها: تقويض أركان كل سلطة دينية كانت أو مدنية[٣].

- هي جمعية سرية تحمل أهدافًا سرية، غاية في الخطورة[٤].

- الماسونية هي الجمعية التي تعمل في الخفاء "للاستيلاء على العالم عن طريق بث أفكارها"[٥].

والمتأمل بناقب فكره في تلك التعريفات التي وقع اختياري عليها من بين العشرات: يجد أنها متقاربة، وأنها تشكل في مجموعها معوق كبير أمام انتشار الإسلام وخطورة رهيبة على البشرية، لا يمكن السكوت عليها، وأن الإنسانية ما وصلت إلى ما وصلت إليه من التردي والانحلال والضياع، إلا نتيجة لأعمال هذه الجمعيات الماسونية التي تكيد للإسلام والإنسانية.

وقد اختلف المؤرخون في منشأ حركة "الماسونية".

---

(١) فتحي يكن، حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، صـ ٥٣، ط: دار الجيل، بيروت، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ٢٧، صـ ٧٠.

(٣) الأب لويس اليوسعي، السر المصون في شيعة الماسون، ص: ٤٣، ط دار الكتاب العربي، ببيروت سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

(٤) مجلة الجندي المسلم، العدد ٢٧، صـ ٧٠.

(٥) الجنرال جواد رفعت اتلخان، أسرار الماسونية، صـ ٢٦، ط الأولى، المختار الإسلامي بمصر، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- فمن قائل: أنها قديمة قدم الإنسان منذ ظهر آدم -عليه السلام- على الأرض[١].

- ومنهم من قال: أن الذي أسسها "هيرودوس أكريبا" ملك الرومان، وذلك سنة ٤٤م بمساعدة مستشاريه اليهوديين[٢].

- ومنهم من قال أنها انبثقت من جمعية الصليب الوردي، التي تأسست سنة ١٠٢٥هـ - ١٦١٦م[٣].

ومنهم: من أوصلها إلى الحروب الصليبية[٤].

وهناك أقوال وآراء كثيرة حول نشأة هذا الوكر الخبيث الماسونية، وسبب الاختلاف في نشأتها: يرجع إلى طبيعة هذه الجمعية السرية إذ أن سريتها هي التي جعلت مسألة نشوئها غامضة، يحيطها الكتمان الشديد.

وإذا كان المؤرخون والباحثون يختلفون في نشأتها، فإن من المؤكد أن هذه الحركة لم تعرف على حقيقتها إلا في بداية القرن السابع عشر الميلادي، والماسونيون أنفسهم يقولون في ذلك أقوالا وآراء كثيرة، منها:

أولاً: لا ينكر أنها شاعت بين الوثنيين في القرون السابقة لعهد المسيح جمعيات سرية، كانت تحجب أسرارها الفاسدة تحت ستر الظلمة فتدعي ظاهر ترقي العلوم، والتقرب بين الألوهية، وهي في الواقع موارد خالعة متهتكة، وكان أسوأها فعلا: الجمعيات المتسترة وراء حجاب الدين[٥].

---

(١) د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية ١٣٨.

(٢) اضواء على الماسونية، مجلة الجندي المسلم العدد: ٢٧ صـ ٧١، عفيفي ابراهيم حسن، الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، ص ٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) جورجي زيدان، تاريخ الماسونية العام، صـ ١٤٨، ط الانجلو المصرية، بالقاهرة، سنة: ١٣٦٧هـ -

ثانيًا: أنه من الأقرب إلى العقل والتصديق أن يقال: أن الماسونية هي حفيدة لجمعيات أخرى، وشيع سرية ظهرت في أوائل النصرانية.

فقامت لمعاداة الدين المسيحي، وتعرضت لأربابه[١].

ولا يخفى على أهل البحث والدراسة: أن الماسونية كانت ابتكارًا واختراعًا يهوديًا بهدف استقطاب الجاليات اليهودية في العالم كله وجمعهم بفلسطين، سعيًا وراء غايتهم المنشودة، وهي: إعادة تأسيس مملكة إسرائيل، وإعادة مجد "يهوذا" تحت لقب الحكومة العالمية "لتسيطر على العالم كله سياسيًا واقتصاديًا، وفكريًا وعقديًا"[٢].

فأصل كلمة "الماسونية" قد صاغها اليهود تلك الصياغة الخبيثة، لتكون جارية على الألسنة في كل لغة، ولتحتفظ بهذه الصورة التي يعرفها كل يهودي في العالم: فكلما ظهر لها وجود في أية جهة، عرف اليهود في تلك الجهة أنها دعوتهم، وأنهم أهلها، وحملة رايتها[٣].

ثم إننا إذا صرفنا النظر جانبًا عن أصل الكلمة، ونظرنا إلى مظهرها الخارجي، وما قام تحت مسماها من هياكل، وما يجري في داخل هذه الهياكل من أقوال وأعمال، وجدنا:

- أن تلك المباني التي أطلق عليها "المحافل" والتي يجتمع فيها المستجيبون، أو المستجلبون لهذه الدعوة الماسونية، قد بنيت على شكل هيكل سليمان -عليه السلام-.

=

١٩٤٨م.

(١) المصدر السابق.

(٢) د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية، صـ ١٣٩، د. صابر طعيمة، الماسونية والصهيونية والشيوعية غاية وهدفًا، صـ ١٥، ط دار الفكر العربي، ببيروت.

(٣) عبد الكريم الخطيب، الغزو الفكري، صـ ٤٤٩، ٤٥٠.

هذه المحافل التي نصبوها في كل مدن العالم هي: إعداد لاستقبال هذا المسيح المنتظر -في زعمهم-، والذي سيحكم العالم، ويقيم اليهود ولاة باسمه على كل أمم الأرض.

- أما مهمة المحافل الماسونية: فهي جلب الناس إليها من مختلف الأجناس والأديان تحت اسم الإخاء الإنساني البعيد عن التعصب لأي دين أو مذهب أو وطن أو جنس أو لون، فإن كان ثمة تعصب لشيء فهو الدين، وإن كان ثمة دين فهو دين العالمية -بفتح اللام- أي: دين الغيرة على الإنسان في كل مكان من هذا العالم(١).

والباحث في منهاج الماسونية: يجد أنها تسلك منهاج الباطنية في الدعوة إلى مبادئها واعتناقها، بمعنى: أن لها ظاهرًا براقًا جميلا تخدع به العوام والجهلة والبسطاء من الناس، إذ تغريهم وتساويهم باستخدام أساليب الخداع والتضليل، تارة بالاغراء بالمال، أو بالمناصب والجاه، وتارة بالوصول إلى مراكز القوى والحكم في البيئة التي يريدون إفسادها وتخريبها، ويقولون: إن غاية دعوتنا: الأعمال الخيرية لبني الإنسان، وتنادي بمبادئ براقة، ظاهرها الرحمة، وفي باطنها العذاب، وهي: مبدأ الحرية، والمساواة، والإخاء، وهذه المبادئ الثلاثة استعاروها من بروتوكولات صهيون(٢).

وهذا يضع أيدينا على أن أصابع الصهيونية خططت لهذه الدعوة وتبنتها بالمال والدعم المعنوي، حتى عملت على إنجاحها وانتشارها في العالم كله، إذ كانت في بادئ أمرها مقتصرة في دعوتها على النصارى في أوربا الغربية، وبعد أن استقرت وقويت، توسعت في العالم كله، وجمعت بين النصارى والمسلمين واليهود، وهيأت لهم الظروف الملائمة، إذ عملت على نبذ

---

(١) السابق، صـ ٤٥٠، ٤٥١، بتصرف واختصار.

(٢) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، صـ ١٣١.

الأديان السماوية، ونادت بحرية الأديان، لكي تضمن دخول المسلمين في هذه الجمعيات السرية المناوئة للأديان السماوية بحربها الشعواء عليها، وبخاصة الدين الإسلامي الحنيف[١].

فأنت تجد الماسونية تسلك مناهج وسبل الدعاوى والتيارات الهدامة، وجميع أساليب الخبث والمكر الناهضة للأديان السماوية للنيل منها، وهدم آدابها، وقيمها، وأخلاقها، ومنع انتشارها.

وإذا ذهبت تتعرف على المحافل الماسونية التي ينشئونها، تجد أن المحافل الماسونية عبارة عن الأماكن التي تعد لتكون مقرًا لاجتماعات الماسونيين وتعمل هذه المحافل في اتجاهين رئيسين، هما:

الأول: نشر الدعوة الماسونية. وبثها في المجتمع الإنساني كله، خدمة للصهيونية، تارة بالإغراء بالأموال، وتارة بالوعود بالمناصب والسلطة والوظائف في هذه البلاد، لمن تلمس فيهم التطلع إلى الظهور.

الثاني: تعمل المحافل الماسونية كأجهزة مخابرات سرية، للتجسس على الحكومات في البلاد والدول التي توجد بها محافل الماسونية، والوقوف على سير النظم السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية، والعمل من وقت لآخر على بث القلاقل داخل البلاد. حتى لا يستقر لها نظام، كما تعمل على تشجيع طرق الفساد في هذه البلاد، لإفساد الأخلاق والقيم، والمبادئ وكسر حدة التدين فيها[٢].

والتاريخ لم يعرف منظمة سرية أقوى نفوذًا وخطورة من الماسونية،

---

(١) د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية، صـ ١٤٠.

(٢) عبد الرحمن سامي، الصهيونية والماسونية، صـ ٨٣، ط الثانية، دار الفكر العربي، بيروت سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

وذلك:

- لأن لها نفوذ واسع في العالم من خلال الزعماء الذين اصطادتهم فأصبحوا كالدمي في يدها، خوفًا على أنفسهم وكراسيهم.

- لها محافل في كل العالم تقريبًا، إذ تستقطب هذه المحافل الشخصيات في كل بلدن لضمان سيطرتها عليه.

- تسيطر على كل الجمعيات والمنظمات الدولية، ومنظمات الشباب، لتضمن سير العالم كما تريد، ولتضمن أن يكون القرار دائمًا بيدها.

- تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر، والصحافة في العالم.

- لهم عصابات إرهابية، لتنفيذ العمليات الإجرامية، للتخلص من كل من يقف في طريقهم عن قصد أو عن غير قصد(١).

وإذا كان هذا شأن الماسونية من حيث النشأة والنفوذ، فإن عقيدتها تزعم في الظاهر أمام الناس، وبخاصة البسطاء والجهال، أنها تعتقد بوجود إله واحد واجب الوجود، أزلي قديم قادر على كل شيء، خالق كل شيء بمشيئته، كل مخلوق يحتاج إليه، ولا يحتاج هو إلى أحد من المخلوقين.

هذا منطوق الماسونيين في الظاهر أمام الناس، لخدعتهم والتغرير بهم. والحقيقة: أن الماسونيين - وفقًا لمبادئهم وعقيدتهم الملحدة - ينكرون وجود الله الخالق - سبحانه وتعالى -، ويعادون كل دين سماوي، ولا يؤمنون إلا بالمادة، فهي عقيدتهم(٢).

يقول أحد الماسونيين في خطبة له: "إني أعلن بينكم صريحًا أنه من

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صـ٤٥٣.
(٢) د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية، صـ ١٤٤.

الواجب علينا أن ننبذ التعاليم الدينية، ونطرح كل نفوذ ديني على أي صورة كان، فكل اعتقاد ديني أساسه ما وراء الطبيعة، كالإله غير المنظور، إنما هو ضعف في عقل الإنسان"[١].

ويقول ماسوني آخر - كما جاء في النشرة الماسونية المؤرخة سنة: ١٢٨٢هـ - ١٨٦٦م: "علينا نحن الماسون ليس فقط أن نرقى فوق طبقات كل الأديان، بل نتحرر -أيضًا- من كل اعتقاد بوجود إله أيًا كان"[٢].

وقال ثالث: "إن صرح الاستبداد الروحي قد سقط، وإن المتحررين عن كل اعتقاد قد فازوا ظافرين حتى إنه لم يبق الآن أحد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البله والحمقى"[٣].

وفي المؤتمر المنعقد سنة: ١٣١١هـ - ١٨٩٤م بألمانيا: قام أحد خطباء الماسون، فقال: "ليس في العالم سوى جوهر واحد، وذات واحدة، هي المادة، والإله الحقيقي هو: المادة"[٤].

وتحت عنوان (الماسونية والدين): كتب أحد مفكري الإسلام يقول: "إن موقف الماسونية من الدين لا يختلف عن مواقف المادية منه فالماسونية تعمل على إشاعة المادية، وتدعو إلى حرب الأديان و مقاومتها بصورة عامة"[٥]. كما حكى قول أحد الماسون في مؤتمر الطلاب المنعقد في سنة: ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م بمدينة "ليبرج": "يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه،

---

(١) شاهين مكاريوس، الآداب الماسونية، صـ ٤، ط الأولى، دار الفكر العربي ببيروت سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(٢) فتحي يكن، حركات ومذاهب، صـ ٥٩.

(٣) السابق، صـ ٦٠.

(٤) الجنرال جواد رفعت اتلخان، أسرار الماسونية، صـ ٣٠، ط مطبعة الجاحظ، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م بتصرف.

(٥) فتحي يكن، حركات ومذاهب صـ ٥٠.

وسوف نعلنها حربا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية، الذي هو الدين، ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهدا في القضاء على مظاهرها"(١).

ويضاف إلى ما سبق في عقيدة الماسونيين: أنهم يناصبون العداء للأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والتسليم- ولهذا دعوا إلى كذبهم وسقوطهم والطعن فيهم، كما قال أحد الماسون، سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠١م: "نحن الماسون: يسرنا أن نشاهد سقوط الأنبياء الكذبة، فإن الماسونية قد أنشئت لتناصب الأديان العداء"(٢).

وجاء في النشرة الرسمية للمحفل الماسوني الفرنسي، سنة ١٢٧٢هـ - ١٨٥٦م: "إننا نحن الماسون لا يمكننا أن نكف عن الحرب بيننا وبين الأديان. لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا، ولابد من موتنا أو موتها، فالماسون لا يمكن أن يذوقوا طعم الراحة إلا بعد أن يغلقوا جميع المعابد ويحولوها هياكل لحرية الفكر، ولإله العقل"(٣).

فأنت ترى أن أقوال هؤلاء الماسونيين ناطقة بإنكارها لوجود الله -سبحانه وتعالى- ومحاربتها للأديان السماوية، كما أنها تسب الأنبياء، وتنكر رسائلهم، فهم كفار ملحدون، ولا يؤمنون إلا بالمادة، فالمادة إلههم ومعبودهم، وهذا يكشف لنا عن حقيقة عقيدتهم المادية الخبيثة، فهم ماديون ملحدون، لا يؤمنون إلا بالمادة، كما أنهم يدعون إلى التحلل من الأخلاق والشرائع السماوية، وطبائع الماسون تقوم على بث الإباحية إذ تتوسل بالجنس والنساء، وتبيح شرب الخمر، وإقامة الحفلات الماجنة للإيقاع بالأشخاص، واجتذابهم إلى

---

(١) السابق.
(٢) د. مبارك حسن حسين التيارات الفكرية صـ ١٤٦.
(٣) السابق، الصفحة نفسها.

صفوفها[١]. وهذا بلا شك معوق ومعرقل خطير لانتشار الإسلام والمسيرة الإسلامية.

أما بالنسبة للأخلاق وانحلالها: فإن الجمعيات الماسونية تؤدي الدور الذي تقوم به بخبث ومكر ودهاء جمعيات الانحلال الخلقي، والمطبوعات الفاضحة، والممارسة المشينة، والجمعيات الماسونية لها أعضاء في كل مؤسسات المطبوعات الجنسية الفاضحة، هدفها: إشاعة الانحلال الأخلاقي بين أصحاب الأديان، ويعبر عن هذا أحد كبار الماسونية وهو "دورفويل" فيقول: "إن العفة المطلقة مرذولة عند الماسونيين والماسونيات، لأنها ضد ميل الطبيعة"[٢].

وفي أحد نشرات الماسونية تقرأ بالحرف الواحد: "لماذا يستر الإنسان عورته، لماذا تخفي الواحدة جسدها؟ إن إظهار العورات واستعمالها هو الشكل .. [الأساس] الذي تود تحقيقه الماسونية، إذ أن حماية الأخلاق شيء تحاربه وتخطط له وتهدمه، كما أن الكشف عن الأعضاء التناسلية للرجال والنساء شيء تدعو له جمعيتنا الموقرة!!"[٣].

وإن المتتبع لدعوات الماسونية: يجد أن من هذه الدعوات تحريم الجهاد في جميع المذاهب والأديان، ما عدا الماسونيين، فإنهم يجاهدون ضد أعدائهم لانتصار مبادئهم ونجاحها[٤].

ونستطيع بعد هذا أن نعرض بعض أفكار الماسونية ومعتقداتها، التي تشكل خطورة أساس في سبيل تقدم وانتشار الإسلام، ومن تلك الأفكار

(١) الجنرال جواد رفعت اتلخان، أسرار الماسونية صـ ٢٩-٣٢، كتاب ديشان، الجمعيات الماسونية، صـ ١١٨، ط دار الفكر العربي، ببيروت، سنة ١٣٨٥ هـ - بـ١٩٦٥م، د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية صـ ١٤٧.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ٣٠، السنة العاشرة صـ ٦٢، الرياض، وزارة الدفاع والطيران.

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

(٤) د. مبارك حسن حسينن التيارات الفكرية صـ ١٤٧، بتصرف.

المعتقدات.

- أنها تكفر بالله سبحانه وتعالى ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، وكتبه، وبكل الغيبيات، ويعدون ذلك خزعبلات وخرافات.

- تعمل على تقويض الأديان، والإسلام بصفة خاصة.

- تعمل على إسقاط الحكومات الشرعية، وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية في البلاد المختلفة، والسيطرة عليها.

- إباحة الجنس، واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

- العمل على تقسيم غير اليهود إلى أمم متنابذة تتصارع بشكل دائم.

- تسليح هذه الأطراف، وتدبير حوادث لتشابكها.

- بث سموم النزاع داخل البلد الواحد، وإحياء روح الأقليات الطائفية العنصرية.

- تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية، ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد.

- العمل على السيطرة على رؤساء الدول، لضمان تنفيذ أهدافهم التدميرية الفتاكة.

- السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام، واستخدامها كسلاح فتاك شديد الفعالية والتأثير[١].

فهدف الماسونية - كما ترى من الأفكار والمعتقدات - هو: القضاء على

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صـ ٤٥٠، ٤٥١، باختصار شديد.

الأديان، باستثناء اليهودية التي تعمل على تثبيت دعائمها وتمجيدها، ونشر سيطرتها على العالم، ولقد جاء في السجلات الماسونية الصادرة سنة: ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م: "لقد تيقن اليهود أن خير وسيلة لهدم الأديان، هي: الماسونية، وأن تاريخ الماسونية يشابه تاريخ اليهود في الاعتقاد، ويربط كيانها بخمسة آلاف سنة، منذ بدء الخليقة، وأن شعارها: نجمة داود السدسة.. [وبعد].. اليهود والماسون معًا الأبناء الروحيين لبناء هيكل سليمان. وأن الماسونية التي تزيف الأديان الأخرى تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء اليهودية وانتصارها"(١).

وفي مؤتمر الطلاب الذي انعقد في سنة: ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م في مدينة "ليبزج" التي تعد أحد المراكز الماسونية. أعلن الماسوني المشهور lefargoe "ليف أرجو" في الطلاب الوافدين من ألمانيا وأسبانيا وروسيا وإنجلترا وفرنسا قائلا: "يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليهن وأن يخرق السماوات، ويمزقها كالأوراق"(٢).

وجاء في كتب الماسونية: يجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهدًا في القضاء على مظاهرها، ولا يصح أن نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساس، هي: إبادة الدين من الوجود، وأن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة، وسوف تحل الماسونية محل الأديان، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد(٣).

وأن المتأمل في أهداف الماسونية يجدها تتنوع إلى غايتين:

الأولى: غاية عقدية، وهي: غزو الأفكار والأذهان والعقول بمبادئهم، حتى يضمنوا التحكم في الناس، وبالتالي يعملوا على ضياع العقائد، وانحلال

---

(١) احمد البشير، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، صـ٤٨٥.
(٢) الجنرال جواد رفعت اتلخان، أسرار الماسونية، صـ ٢٩، ٣٠.
(٣) المصدر السابق صـ ٣٠ - ٣١، بتصرف واختصار.

الأخلاق والقيم، ونزعها من نفوسهم، وبذلك يسهل لهم بث الإباحية والإلحاد والفساد، ليحلوا محل العقائد السماوية، والفضائل الإنسانية[١].

الثانية: غاية سياسية، وهي: غزو الأحزاب السياسية، وجعلها تحت سيادتهم، بحيث تصبح جميع الأحزاب خادمة لهم[٢].

وأن الناظر بعمق في هاتين الغايتين اللتين تهدف إليهما الماسونية يجد: أنهما يشكلان خطورة على الإنسانية، كما أن هاتين الغايتين معوق خبيث وخطير عن انتشار الإسلام والتنظيمات الماسونية القديمة والتي خططت للحرب والقضاء على المسيحية منذ عصر الميلاد، ما أن فوجئت بالمجتمع الإسلامي في القرن السابع الميلادي يقوم على دعوة التوحيد لله والحب والإخاء الصادق، حتى ظهرت الأحقاد التي تكره للحق أن ينتصر[٣].

وقد لبست الماسونية مع تطور وتصاعد عدائها ضد الإسلام أثوابًا عديدة، وكان كل ثوب يوائم المرحلة أو العصر الذي تمر به التنظيمات الماسونية كقوة خفية تعمل في الظلام جيلا بعد جيل، ومن الأثواب التي ارتدتها الماسونية في حربها للإسلام: المذاهب والاتجاهات والتيارات التي دست على الإسلام، حتى حسبها العامة من المسلمين في مراحل القهر والاستبداد من الإسلام[٤].

ولا يخفى على الباحث والدارس والمتتبع لأحوال المسلمين، وما في المجتمعات المسلمة من أحزاب وتيارات: أن تفرق المسلمين وأحزابهم صناعة

---

(١) مجلة (اكاسيا)، الماسونية/ الإيطالية، سنة: ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م، صـ ٢٥٦، نقلاً من: د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية والحركات المعاصرة، صـ ١٤٨.

(٢) البيان الماسوني، سنة: ١١٥٧هـ - ١٧٤٤م، نقلا من: د. مبارك حسن حسين، التيارات الفكرية، صـ١٤٨.

(٣) د. صابر طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول صـ ٢٢٥.

(٤) السابق، صـ ٢٢٦، بتصرف واختصار.

ماسونية، تعمل على عرقلة الجهود لمصلحة الإسلام والمسلمين.

والذي يؤكد القول بهذا: أنك تجد المجتمعات المسلمة انصرفت عن الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله انصرافًا أنساها أن هذه فريضة إسلامية، فما الذي أنسى المسلمين فريضة الجهاد، وما الذي صرف الحكومات عن الدعوة إلى الجهاد؟ تساؤلات ترد على الذهن، وتعرف الإجابة عنها لمن تأمل الماسونية وعرف أخطارها وأوكارها العفنة.

الصهيـــونيـــة

إن المتتبع للحركات الفكرية والتيارات الهدامة في المجتمع الإنساني يجد أنه ما من حركة هدامة أو تيار الحادي، إلا وراءه الصهيونية، ومن هنا كان علينا أن نعرض للصهيونية كمعوق لانتشار الإسلام، وأن نتعرف عليها ونستبين أخطارها على الإنسانية والإسلام.

والصهيونية كحركة سياسية تهدف إلى جمع اليهود، ولم شملهم، وتهجيرهم إلى فلسطين، لتأسيس دولة يهودية فيها، تدين بالدين اليهودي، وتتميز بالعنصر اليهودي، والثقافة اليهودية، وبإرادة بعث مملكة داود[١].

أما الصهيونية كحركة دينية فكرية، أو تمدنية شاملة، تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من أداء رسالته، وتتفهم هذه الرسالة كتملك لأرض الميعاد، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركيز لسلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون[٢].

والصهيونية اشتقت من اسم جبل صهيون في القدس، إذ تطمع الصهيونية أن تشيد فيها هيكل سليمان، وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها[٣].

وإذا كانت الصهيونية تنسب إلى جبل صهيون، فهو أحد جبال أربعة أقيمت عليها مدينة القدس العاصمة الروحية لليهود، وقد أضفت التوراة هالة

---

(١) د. إسماعيل راجي الفاروقي "أصول الصهيونية في الدين اليهودي" صـ٧، ط مكتبة وهبة، بالقاهرة، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) د. إسماعيل راجي الفاروقي "أصول الصهيونية في الدين اليهودي" صـ ٧٠.

(٣) الندوة العالمية للشباب المسلم، الموسوعة الميسرة، صـ ٣٣١، فتحي الأبياري، الصهيونية، صـ٦، ط دار المعارف، بمصر، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

من القداسة على جبل صهيون بخاصة، ففيه يقيم "يهوه" إله اليهود -فيما يزعمون-. وفي رحابه يظهر المسيح المخلص، الذي ينتظره اليهود، بشيرًا بغفران الله -سبحانه وتعالى- وتوبته عليهم، وخلاصهم مما يقاسون من بأس وإعنات، بعد تطهرهم من أدران الموبقات والمعاصي التي ظلوا عاكفين عليها لآماد طوال، ومن ثم فقد استطارت شهرة صهيون، وسمت مكانته لدى اليهود، حتى غدا رمزًا لمنطقة أورشليم المقدسة[1].

وقد ورد ذكر صهيون في التوراة -العهد القديم- في مواقع كثيرة، منها:

- "وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض، وأخذ داود حصن صهيون".

- "وأما أنا فقد مسحت ملكي على صيهون جبل قدسي"[2].

- "رنوا للرب الساكن في صيهون، لأنه مطالب بالدماء"[3].

- إذا بني الرب صيهون يرى بمجده، لكي يحدث في صهيون اسم الرب، وبتسبيحه في أورشليم"[4].

- "لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنًا له"[5].

- "لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب"[6].

- "طوبى لجميع منتظريه، لأن الشعب في صيهون يسكن في أورشليم"[1].

---

(١) عبد السميع الهروي "الصهيونية بين الدين والسياسة" صـ٢٥، ط الهيئة المصرية العامة، سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٢) مزامير، إصحاح (٢).

(٣) مزامير، اصحاح (٩)، فقرة (١١).

(٤) مزامير، اصحاح (١٠٢).

(٥) مزامير، اصحاح (١٣٢).

(٦) أشعياء، اصحاح (٢).

وإذا كانت الصهيونية منسوبة إلى "صيهون" في بيت المقدس فإننا حين نقول الصهيونية العالمية نعني: شيئًا آخر أقدم من هذه النسبة، نعني بذلك: الخلق الذميم الذي تأصل في طائفة من العبريين منذ أقدم العصور[٢].

والصهيونية العالمية حقيقة واقعة، هي قوة موجودة بأعمالها وآثارها، موجودة بدعاياتها وأخبارها، موجودة بمقاصدها وغاياتها[٣].

والصهيونيون موجودون في أوطان متعددة - ولهم في اصطلاح العصر الحديث طابور خامس في كل دولة، ولهم وسائلهم التي لا تتورع عن شيء من ضروب الرشوة، وإرضاء الأهواء والشهوات، وهم متعصبون مخربون في كل مكان، لا يجمعهم حب بعضهم لبعض، ولكن تجمعهم كراهية الآخرين، كما يجمعهم الحقد على العالم[٤].

وقد اختلف المؤرخون في نشأة الحركة الصهيونية اختلافا واضحًا:

١- فمن هؤلاء من يرى: أن الفكرة الصهيونية قديمة قدم الدين اليهودي[٥]، إذ "أن اليهودية دين عرف منذ نيف وثلاثين قرنا من الزمان أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود، غير أن اليهودية ليست كسائر الأديان، فهي لا تعبر عن طائفة دينية فحسب، وإنما تعبر -أيضًا- عن حركة سياسية، امتدت أصولها منذ أن أزال الرومان مملكة "يهوذا" من خريطة الوجود، ومن ثم كان ارتباط اليهود بالصهيونية منذ ذلك التاريخ صنوين،

---

(١) أشعيا، اصحاح (٣٠).

(٢) عباس محمود العقاد، المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، المجلد: الرابع عشر، صـ٩٨، ط دار الكتاب اللبناني، ببيروت.

(٣) المصدر السابق، صـ ٩٤.

(٤) المصدر السابق، صـ ٩٦.

(٥) محمد موسى محمد البر "نشأة الصهيونية العالمية" مجلة (الجندي المسلم)، السنة العاشرة، العدد: ٢٧، صـ٢٦.

بمعنى: أن أحدهما لا يفترق عن الآخر، وأصبحتا تمثلان وجهين لعملة واحدة. وقد حرص اليهود منذ البداية ألا يكشفوا عن نواياهم الحقيقية، بل حاولوا ليخلقوا على إعلان الحركة الصهيونية وأهدافها ثوبًا إنسانيًا عامًا"[١].

وزعماء الصهاينة يقولون: "ما دامت التوراة أم الكتب موجودة، وما دام للتوراة شعب موجود، فلا ينبغي أن يكون للتوراة بلاد أيضًا"[٢].

وحاولت الصهيونية -بعملية تزوير- أن تثبت تاريخًا لميلادها، وأن تعده قديمًا قدم العالم، ويقترح "نورمان بتفتشي" تاريخًا لولادة الصهيونية، فيجعله من تاريخ سبي اليهود وأسرهم في القرن السادس قبل الميلاد، وعلى هذا الأساس فالصهيونية واليهودية شيء واحد، وليس من فرق بين دين وحركة[٣].

٢- ومن الكتاب من يرى: أن الفكرة الصهيونية بدأت أعمالها المنظمة في العصر الحديث، عندما بدأت تضغط على الدول الغربية، وقد قامت بنشاط واسع بين الساسة في بريطانيا وفرنسا[٤].

ويشير الباحثون: إلى أن الصهيونية الحديثة تنسب إلى "تيودور هرتزل" الصحفي اليهودي النمساوي، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم، وقد أقام "هرتزل" أول مؤتمر صهيوني عالمي، سنة: ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م، ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم، وهي "بروتوكولات حكماء صهيون" المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها، ومن ذلك الوقت

---

(١) عمر رشدي، الصهيونية وربيبتها إسرائيل صـ١٩.

(٢) عبد الرزاق محمد اسود "الموسوعة الفلسطينية" صـ١٠٩، ط منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٣) المصدر السابق، صـ ١٠٩.

(٤) محمد مصباح حمدان "الاستعمار والصهيونية" صـ١١٥، ط: الهيئة القومية، بمصر سنة: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

أحكم اليهود تنظيماتهم، واصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء وخبث، لتحقيق أهدافهم التدميرية[١].

وأن الباحث في الصهيونية العالمية يجد لها جذورًا تاريخية، فكرية وسياسية كثيرة[٢]، ليس من شأني تتبعها، أو العرض لها، فإن الذي يهمني ما ذكرته.

أما عن المكان الذي نشأت فيه الحركة الصهيونية، فإنه مع انتهاء الحرب العالمية تصبح بولونيا واحدًا من أهم المراكز الصهيونية العالمية[٣]، إذ نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا، وباقي دول أوربا الشرقية خلال القرن التاسع عشر، حيث يعيش آنذاك أكثرية اليهود في العالم، وتعود أسباب نشوئها إلى عوامل عديدة، سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، ودينية، منها ما يتعلق بأوضاع اليهود واليهودية في خلال تلك الفترة التي كانت بحد ذاتها تتمة لما سبقها وما يتعلق بالأوضاع العامة بالبلدان التي كان اليهود يعيشون فيها، والتغييرات التي حدثت في أوربا وروسيان وبخاصة في خلال القرنين: الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين[٤].

وجملة ما يقال: أنه لم تكن الصهيونية من حيث الأسباب أو تاريخ الظهور، إلا إحدى مشتقات المسألة اليهودية: التي أوجدها حكام وشعوب قسم من الدول المذكورة، بينما ساهم القسم الآخر بمساعدة بعض الفئات اليهودية

---

(١) الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة، صـ ٣٣٢.

(٢) انظر ذلك في: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صـ: ٣٣١-٣٣٢، فإن بها اكثر من احد عشر جذر

(٣) محمد موسى البر "نشأة الصهيونية العالمية" مجلة الجندي المسلم، السنة العاشرة، العدد ٣٧، صـ٢٨.

(٤) المصدر السابق.

-أحيانًا- في بقائها حية أو دعمها[1].

والصهيونية العالمية السياسية كان لها جذور في روسيا. وروسيا تقع الأجزاء الغربية منها بخاصة في شرق أوروبا[2].

فالصهيونية الحديثة حركة أوروبية شرقية في أصولها، لا لمجرد أن معظم زعمائها جاءوا من تلك المنطقة، حيث تتجمع الغالبية العظمى من يهود اوروبا، بل هناك سببان آخران:

الأول: هو حساسية يهود أوربا الشرقية، خصوصًا تجاه اللاسامية التي قامت على أساس الإجحاف العام الذي عززته بشكل نشيط -أيضًا- أنظمة الحكم× للتخلص من النقمة عليها.

الثاني: هو حجم الصهيونية في صفوف يهود أوربا الشرقية بخاصة، وتنظيمها الداخلي[3].

والصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية، التي تسعى لعرقلة الإسلام وتقويضه، كما وصفها اليهود أنفسهم، مثل: الإله الهندي "فشنو" الذي له مائة يد -كما يزعمون- فهي لها في معظم الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لصالحها[4].

وللصهيونية مئات الجمعيات في أوربا وأمريكا، وفي مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر، ولكنها كلها تعمل في الواقع لمصلحة اليهودية

---

(١) صبري جرجس، تاريخ الصهيونية، صـ٣٢، ط: دار الفكر العربي، ببيروت، سنة: ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

(٢) د. هـ جانس "الصهيونية وإسرائيل وآسيا" صـ ٤٩، ترجمة: رشيد حميد ط الكويت، سنة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) المصدر السابق، صـ ٤٩-٥٠، مجلة الجندي المسلم، في العدد السابع والعشرون، صـ ٢٨.

(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صـ ٣٣٧.

العالمية[١].

والصهيونية مذهب ديني احتلالي مستبد متطرف حاقد، يتمذهب به غلاة اليهودية فحواها: السيطرة السياسية الجامحة، والغرور العنصري الغشوم، والتعصب الديني الجانح المقوت، وقد شط بها التعصب، حتى جاوزت كل خيال في الجموح والغلو، فهي ترمي إلى تقويض النظم السياسية للمجتمع الدولي بأسره، وإخضاعه لنير اليهود، وحكم آل داود المباشر واصطناع شعوبه رقيقًا منكر الإنسانية، مغموط الحقوق، ثم بسط السلطان الروحي للدين اليهودي على شعوب الأرض طرا من دون سائر الأديان سماوية كانت أم وضعية، وسبيلها إلى أهدافها، البطش الدموي والإرهاب الفكري والاجتماعي، وإهدار القيم الإنسانية جميعًا[٢].

ومبنى النظرية الصهيونية: الإيمان بما تردد التوراة المحرفة من أن الله قد استخلف اليهود في الأرض، وأورثهم أقطارها وشعوبها حقًا مقدسًا مقضيًا، وأن الدول والحكومات القائمة كافة دعية مغتصبة، وأن على اليهود المجاهدة لاقتضاء حقهم الهضيم في فلسطين -كما يتوهمون- أرض الميعاد تحت امرة حاكم من نسل داود[٣].

وإذا تتبع الباحث تطور التاريخ وألقى الأضواء على مخططات الصهيونية منذ القدم حتى الآن، لوجد أن الصهيونية تحاول أن تقضي على الأديان الأخرى بكل الوسائل، وهناك عداوة قديمة متأصلة بين اليهود والنصارى تبنى على: اعتقاد بأن المسيح -عليه السلام- سيأتي، ولكنه سيكون يهوديًا منهم.. ولما جاء عيسى -عليه السلام- ولم يكن يهوديًا منهم، بدأت حربهم ضده، وضد

---

(١) المصدر السابق صـ ٣٣٧.

(٢) عبد السميع الهراوي "الصهيونية بين الدين والسياسة" صـ ٢٥.

(٣) السابق صـ ٢٥، ٢٦ بتصرف.

ديانته[١]. وما عداوة الصهاينة للنصرانية إلا جزء من عداوتهم للأديان جميعًا بما فيها الإسلام، والتلمود[٢]، وبروتوكولات حكماء صهيون يزخران بآلاف الأمثلة، وكلها تحض اليهود على كراهية ومقت غير اليهود، وتغريهم بقتلهم وغشهم وخداعهم[٣].

وقد أكدت بروتوكولات حكماء صهيون نظرية التفوق العنصري لليهود، وأن هذا العالم لم يخلق إلا لليهود، وأن ما سواهم مخلوقات نجسة، ليقيموا عليه وفيه مملكة يهودية تحكم العالم[٤].

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن الصهيونية تعتمد - بجانب ما لليهود من كتب مقدسة "محرفة" على بروتوكولات[٥] حكماء صهيون. وقد كانت هذه البروتوكولات مودعة في مخابئ سرية، ولا يعرف محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء فيها بهدوء، وحسب تخطيط منظم، ثم حدث اجتماع بين امرأة نصرانية فرنسية، وبين زعيم صهيوني

---

(١) فتحي الإبياري، الصهيونية صـ ٤٨.

(٢) كلمة "تلمود" معناها بالعبرية: "تعليم" وهي: مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلت شفويًا، مقرونة بتفاسير رجال الدين كما يزعمون- وهو احد كتب اليهود الدينية: وهو عبارة عن موسوعة تتضمن: الدين والشريعة والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعيةن وقد بدا تدوين التلمود في القرن الخامس الميلادي: ويوجد تلمودان هما: التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي، والتلمود هو: اول محاولة من جانب حاخامات اليهود لتفسير العهد القديم بما يتناسب مع وضع اليهود الجديد عمر رشيدي، الصهيونية وربيبتها إسرائيل، صـ ٢٤ (الهامش) عبد الوهاب الميسري، موسوعة المفاهيم والاصطلاحات الصهيونية: صـ ١٤١ - ١٤٢. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة جـ ١، صـ ٥٤٣.

(٣) فتحي الإبياري، الصهيونية، صـ ٥٠.

(٤) المصدر السابق صـ ٥١.

(٥) معنى "بروتوكولات": قرارات، او محاضر جلسات، ويغلب على الظن انها: القرارات السرية لمؤتمر اليهود في بابل بسويسرا، سنة: ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.
احمد بشير "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" صـ ٤٨٨.

كبير في وكر الماسونية في باريس، ورأت هذه المرأة بطريق الصدفة[١]، هذه القرارات فعرفت محتوياتها، وأخذت بعضها وفرت بها، وكان هذا في سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠١م[٢]، ثم ظهرت هذه الوثائق في روسيا، إذ نشرها "سرجين نيلوس" باللغة الروسية، وبعد اكتشاف سرقة هذه الوثائق أعلن اليهودي الحاقد المتعصب "تيودور هرتزل" أنه قد سرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية، التي قصد إخفائها على غير أصحابها.

وقد أعاد "نيلوس" نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة: ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، ونفذت هذه الطبعة بسرعة غريبة، وبوسائل خفية، لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها، ثم طبعت سنة: ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، فنفذت على هذا النحو، ولما طبعت سنة: ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م صادرها الشيوعيون. وكان معظمهم من اليهود الصرحاء، أو المستورين، أو من صنائعهم[٣].

وتسابقت الأمم إلى ترجمة البروتوكولات، فترجمت إلى الفرنسية والبولونية والإيطالية والسويسرية، وغيرها من اللغات، كما ترجمت إلى الإنجليزية في أمريكا.. أما اليابان والبلدان الأخرى في آسيا: فقد ترجمت إلى لغاتها.. أما بلدان العالم الإسلامي والعالم العربي وأفريقيا، فلم يطلع عليها من أبنائها إلا قليل في الترجمات التي صدرت بلغاتها، وذلك لشيوع الأمية والجهل، وسطوة الاحتلال الوثنية اللئيم[٤].

وأخيراً ترجمت البروتوكولات إلى اللغة العربية، وتوالت الطبعات ويقال:

---

(١) يشيع التعبير بالصدفة، والأولى أن يقال: بالقدر.

(٢) أحمد بشير "الغزو الفكري" صـ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٣) خليفة التونسي، الخطر اليهودي "بروتوكولات حكماء صهيون" صـ ٤١-٤٨، ط المكتب العربي، ببيروت.

(٤) أحمد عبد الغفور عطار "مؤامرة الصهيونية على العالم" صـ ١٤٩-١٥٠، ط دار العلم للملايين، ببيروت.

إن أول ترجمة عربية ظهرت سنة: ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م[١].

والبروتوكولات، هي: الخطة التي وضعت للسيطرة على العالم أمر حقيقي ثابت، وأن زعماء الصهيونية يكونون مجلس "سانهدرين الأعلى" الذي يرمي إلى السيطرة على حكومات العالم كافة[٢].

ولا مانع من عرض بعض المقررات السرية لمؤتمر "بال" والتي سميت "ببروتوكولات حكماء صهيون"، والتي تعد عقبة كئود أمام انتشار الإسلام:

- أن جواز المرور لدينا، هو: القوة والكذب والادعاء، إن حقنا في قوتنا: لا عيب، ولا عار في أن تكون جاسوسًا أو جساسًا أو مخربًا، بل هذه فضيلة.

- لقد عبثت أيدينا في التشريعات، وفي سن القوانين وتنفيذها، وتدخلنا في شئون الانتخابات، وفي الصحافة، وأداة النشر، وفي توجيهها والسيطرة عليها.

- يجب أن يكون واضحًا تمامًا لنا - نحن اليهود- مدى ذلك الانحلال والتفكك الخطير الذي تنشره الشيوعية في أذهان "الجوييم"[٣]، أي: الشعوب الكافرة غير اليهودية.

- إن الحاجة اليومية إلى الخبز تضطر "الجوييم" إلى السكوت والرضوخ

---

(١) عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، صـ ١٦٦، ط المكتب الإسلامي، ببيروت، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) عبد الله التل "خطر اليهودية العالمية" صـ ١٦٥.

(٣) الجوييم: صيغة جمع للكلمة العبرية "جوي"، وتعني: شعب أو قوم، استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية، دون سواها، ومن هنا كان المصطلح العربي "الأغيار"، وقد اكتسبت الكلمة - فيما بعد- ايحاءات بالذم والقدح، واصبح معناها: الغريب، والأغيار: درجات، ادناها: الأكوم، او عبدة الأوثان والأصنام، واعلاها: اولئك الذين تركوا عبادة الأوثان "اي: المسيحيون والمسلمون"، وتقسيم العالم إلى يهود واغيار، يضع اليهودي فوق التاريخ وخارجه مما يجعله يرى كل شيء على انه مؤامرة موجهة ضده.
عبد الوهاب المسيري "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية" صـ ٧٨، ٧٩.

والرضا، وإلى أن يكونوا خدمًا لنا، أذلاء خاضعين في استسلام.

- إن خطباءنا سيباشرون مهمة تفسير المشكلات الكبرى وتأويلها حسب هوانا، تلك المشكلات التي قلبت الإنسانية رأسًا على عقب، تأويلا، تخضع معه الإنسانية إلى حكمنا الصالح المتسامح.

- الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام واقعة تحت سيطرتنا، والأدب والصحافة قوتان في طليعة القوى التوجيهية المهمة، وبذلك يجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف.

- لقد حفرنا هوة سحيقة بين السلطات الحاكمة البصيرة، وبين قوى الشعب العمياء، ففقد الاثنان بذلك معنى وجودهما، وصار كالأعمى وعصاته، لا يساوي كل منهما شيئًا على انفراد.

- إن قوتنا إنما هي في سوء التغذية المزمن لأجسام "الجويم"، وفي ضعفهم البدني الدائم.

- لقد خدعنا الجيل الناشئ من "الجوييم" وجعلناه فاسدًا متعفنًا بما علمناه من مبادئ ونظريات، معروف لدينا زيفها التام.

- يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وتكون النتيجة المؤقتة، هي: إثمار ملحدين.

- عندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقيدة غير عقيدتنا، وعلى ذلك يتعين علينا: أن نكتسح جميع العقائد والأديان الأخرى[1].

وحينما يدقق الإنسان النظر في هذه القرارات -والتي جئنا ببعضها- ترى:

---

(١) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي، صـ ١١١- ٢٢٣.

أنها قرارات لتحطيم العقائد والإنسان في هذا الوجود، تصد الناس عن الحق، وتصرف الناس عن الإسلام، إن الصهيونية بألاعيبها وأساليبها وإمكاناتها معوق خبيث وخطير لانتشار الإسلام.

والبروتوكول الأول يرسم لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض ويبذرون غراس الفساد، ويعيثون بالفوضى والانحلال في المجتمع[1].

أما البروتوكول التاسع فجاء فيه: "لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير التهود، وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم سلفا أنها مبادئ ونظريات فاسدة، وعملنا على ترسيخها في ذهنه[2].

وهكذا يقف اليهود وراء كل دعوة هدامة، وكل مبدأ يتنافى مع الخلق والكرامة، ويحيكون الأحابيل للشباب، يتملكون غرائزه، ويزينون له أسباب المتعة المحرمة من فسق وفجور وميسر، وإدمان للخمر وتهالك على المخدرات لإنهاك قواه، وابتزاز طاقاته، وتوهين عزائمه، التردي به في إسار الإدمان، حتى يسهل ويسلسل قياده واستسلامه[3].

ويقول البروتوكول الرابع عشر: "عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا، أي دين لا يسلم إلا بالله واحد، يرتبط به مصيرنا، لأنه اختارنا، ويرتبط به كذلك مصير العالم[4].

ويقول البروتوكول السابع عشر: "لقد عنينا عناية.. [مخصوصة] بالعيب في رجال الدين غير اليهود، والحط من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا

---

(١) السميع الهراوي، الصهيونية بين الدين والسياسة، صـ ٨٤.

(٢) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي، صـ ١٤٧. أحمد عبد الغفور عطار، مؤامرة الصهيونية على العالم، صـ ٢٢٨.

(٣) عبد السميع الهراوي، الصهيونية بين الدين والسياسة، صـ ٨٤.

(٤) محمد خليفة التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون، صـ ١٦٩.

كذلك في الإضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق أهدافنا، والوقوف في سبيلها، حتى لقد أ خذ نفوذهم ينهار مع الأيام(١).

"إن حرية العقيدة معترف بها اليوم في كل مكان، ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك"(٢).

وأن الباحث في مخططات الصهيونية يجد: أن الإسلام والمسيحية قد كرست لهما الصهيونية نشاطها، ابتغاء النيل منهما، بدأب حثيث، وموجة مسعورة، ودهاء خارق.. يقول التلمود: "حيث أن المسيح كذاب، وحيث أن محمدًا اعترف به، والمعترف بالكذاب كذاب مثله، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني، كما قاتلنا الكذاب الأول"(٣).

ولم يسع حاخام إسرائيل أن يضمر هذه النعرة بين جمبيه، لاهبة جياشة تؤزه، ويملك عليه غلواؤها حماسة، وعقدة منطقه ، فأطلق للسانه العنان، يجاهر بها ويدعو لها علانية في حفل وضع الحجر الأساس للحفل الماسوني في تل أبيب في سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م بقوله: "إننا نعمل جميعًا لهدف واحد هو: العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد، وبين أي شعب وشعب ونتيجة لجهوداتكم سيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي، والدين الإسلامي، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة".

وللصهيونية وسائل كثيرة، تضعها لتصل عن طريقها إلى أهدافها، ويهمني من هذه الوسائل والأساليب ما يتصل بالإسلام، ويعوق انتشاره وما

---

(١) المصدر السابق، صـ ١٨٧.

(٢) المصدر السابق، صـ ١٨٧.

(٣) د. محمد علي الزغبي، دقائق النفسية اليهودية، صـ ١٢٨، ط بيروت، سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

يتصل بالإسلام في قمة الخطورة، مما يعد من أكبر العراقيل التي توضع أمام المد الإسلامي، ومن هذه الوسائل:

١- محاولة تحريف الكتب الدينية والتاريخية، بالإضافة أو الحذف أو التعديل، أو التغيير، وقد كشف الله أمرهم في الأعوام الماضية حينما حاولوا تحريف القرآن الكريم.

٢- دراسة الإسلام واللغة العربية وكتبهما، بالاشتراك مع هيئة الاستشراق والتأليف، متعاونين على أمل التمكن من تحريف الإسلام في المؤلفات، وفي نفوس أبنائنا الذين يلجئون إليهم بعد فترة من ا لزمن،

٣- تلقف أبناءنا الذين نرسلهم إلى جامعات الغرب أو الشرق، ليوجهوهم بأساليبهم المختلفة، وأفكارهم المسمومة إلى ما يصرف شبابنا الصاعد عن بناء مستقبله، ولينأوا به عن دينه.

٤- مداومة تنمية الفرقة بين المسلمين بما يضمن نموها لتفريق الشمل وتفتيت الجمع.

٥- العمل على التحالف بين اليهودية والمسيحية ضد الإسلام، وأول من قام بهذه الفكرة، هو دافيد ريوبيني - حاخام اليهود - فقد تقدم إلى البابا في روما بمشروع محالفة ضد الإسلام، للقضاء عليه[١]. ونشأ عن هذا الاتفاق ما يسمى الآن "بالصهيونية المسيحية"، وعلى رأس هذه المسيحية الكنيسة البروتوستنتية، ويرى هؤلاء: أن مصلحة المسيحية ممالأة اليهود، والوقيعة بينهم وبين المسلمين[٢].

---

(١) محمد محمد ابو فرحة، الصهيونية ومخططاتها للسيطرة على العالم، صـ ٥٩، ٦٠، محاضرة القيت في الموسم الثقافي للعام الدراسي ١٣٩٣هـ - ١٣٩٤هـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) المصدر السابق صـ ٦٠، ٦١، بتصرف.

الوجـــوديـــة

ظهرت كلمة "وجودية" بالمعنى الفلسفي الذي تستخدم به اليوم لأول مرة فيما كتبه كير كجارد[١]، وتعني: موت فلسفة الوجود، لأنها تغلق علينا انفسنا، وتجعلنا ندمر ذاتنا حين نجد أنفسنا نسير في ممرات مغلقة، وطرق مسدودة، لأنها تهتم بمشاكل تتصل بالتأمل الفردي، دون أن يتكون من ورائها موضوعات مثمرة في ميدان الفكر الإنساني، لأنها تقوم على التأمل الصرف المرتبط بالفكر الشخصي، إذ ترتبط بقضايا القلق والخوف واليأس[٢].

وجاء في الموسوعة الميسرة: "أن الوجودية تيار فلسفي، يعلي من قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وتجربة وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه، وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم"[٣].

ويصور الوجودية "ريجيس جوليفييه" بأنها: اعتقاد أن أساس وجود الإنسان هو ما يفعله، بمعنى: أن أفعاله هي التي تحدد وجوده كما قال "سارتر": أنا موجود، فأنا أفكر، على عكس ما قال "ديكارت" أنا أفكر، فأنا

---

(١) هو: سورن كير كجارد، فيلسوف دنماركي، ولد سنة: ١٢٢٧هـ - ١٨١٣م، كتب بحوثا دينية خرج بها عن المألوف، فاختلف مع الكنيسة، إذ كان يعتقد انه ينبغي للإنسان ان يلتمس المعرفة الحقة داخل نفسه، وأن المثقف إنما يعاني بسبب التعارض بين الوجود الفردي المؤقت من جهة، والحقيقة الأبدية من جهة أخرى، والدين أمر شخصي صرف ينزع إلى التصوف، وهو من وراء المذهب الوجودي.
ومن اشهر كتبه: "إما أو"، ومراحل طريق الحياة، مات سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٥م.
محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، جـ ٢، صـ ١٥٢٦.

(٢) د. محمد إبراهيم الفيومي، الوجودة فلسفة الوهم الإنساني، صـ ٥١، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، صـ ٥٤٣.

موجود[١].

يقول سارتر: "أما الوجودية الملحدة التي أمثلها بنفسي، فهي أكثر إنسجامًا، وأكثر منطقية، فهي تعتقد أنه إذا جاز أن نعتقد أن الله ليس موجودًا، فإنه من المتحتم أن نعتقد -على الأقل- بوجود كائن موجود، قبل أن يعرف في ضمن اية فكرة مجردة، أو وهم أي خالق، وهذا الكائن هو: الإنسان"[٢].

وخلاصة مذهب سارتر: "أن الوجود متقدم على الماهية، وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه"[٣].

إن هذا المذهب ليس جديدًا فقد اهتم به كثير من الفلاسفة والأدباء والمتصوفين وغيرهم من قديم الزمان، وإن كان أبرزهم حديثا هو كير كجارد الدانمركي، المتوفى سنة ١٢٧١هـ - ١٨٥٥م، وآخرهم: جان بول سارتر الفرنسي[٤].

فالوجودية إذن: تقدس الفرد، وتقدس حرّيته، ويفهم منها: أن الفرد في هذا الوجود هو كل شيء، هو الإله، ولا إله غيره، وأي قيد يحد من حرية الإنسان غير إرادته هو: مروق واعتداء على حق الإنسان ولو كان هذا القيد هو الدين أو التقاليد، أو القيم الأخلاقية المتوارثة، للإنسان ولا شيء غيره، له تمام

---

(١) مشيخة الأزهر، بيان للناس، جـ ٢، صـ ٦٠.

(٢) جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، صـ ٣٠، ٣١، ترجمة: كمال يوسف الحاج، ط دار مكتبة الحياة، بتونس.

(٣) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، جـ ٢، صـ ٥٦٥، ط دار الكتاب اللبناني، سنة: ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

(٤) مشيخة الأزهر، بيان للناس، جـ ٢، صـ ٦٠. المولود سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، والمتوفى في يوم الثلاثاء ٣٠ من شهر جمادى الأولى، سنة ١٤٠٠هـ - الموافق ١٥ إبريل، سنة ١٩٨٠م.

الحرية[١].

والوجوديون -على اختلاف ما بينهم - يتفقون جميعًا على مبدأ واحد. هو: تقديس حق الفرد وحمايته من طغيان الجماعة عليه بعد ظهور الديمقراطية الحديثة، ثم ظهور الشيوعية والفاشية في العهد الأخير، وهم يبنون مبدؤهم هذا على اعتبارهم: أن الفرد هو الوجود الحقيقي في الخارج، وأن النوع الإنساني لا وجود له إلا في عالم التصور والفروض الذهنية[٢].

وتقديس حق الفرد هو: الجانب السليم في الوجودية.. أما السخف والمرض فإنما يظهران عند الانتقال من تقرير وجود الفرد إلى النتائج التي تترتب على هذا في اعتقادهم، ثم يبلغ السخف غايته حين يخلطون بين وجود الفرد وغاية الوجود كله.

ومنهم من يقول: إن الوجود كله عبث لا معنى له على الإطلاق، ولا غاية من ورائه لمخلوق ولا لخالق، ويظهر السخف والمرض حين يقولون: إن الفرد هو الموجود الحقيقي، ويرتبون على ذلك أنه: لا معنى إذن للقول بالطبيعة البشرية، والقول بالأخلاق، التي تفرضها هذه الطبيعة، أو بالأقدار التي رسمتلها طريقها قبل أن تبرز إلى عالم الوجود[٣].

ويتحدث العقاد عن الوجودية في روسيا، والوجودية في فرنسا، فيقول: إنما وجدت في فرنسا مدرسة الوجودية الإباحية: إلى جانب الوجودية الأخلاقية، لأسباب لا مشابهة فيها بين النشأة الوجودية الروسية، ونشأة

---

(١) نجيب الكيلاني، الإسلامية والقوى المضادة، صـ ٩٨، ط مؤسسة الرسالة، ببيروت، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ابو الأعلى المودودي، الإسلام والجاهلية، صـ ٢٤، ط مؤسسة الرسالة، ببيروت، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) د. علي عبد الحليم محمود، الغزو الفكري، صـ ١٦٠.

(٣) عباس محمود العقاد، بين الكتب والناس، صـ ٣٦، ط بيروت سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

الوجودية الفرنسية، وجدت تلك المدرسة الإباحية، لأسباب يتعلق بعضها بفرنسا، ويتعلق بعضها الآخر بسارتر إمام تلك المدرسة.

أما الأسباب التي تتعلق بفرنسا، فهي: الوَلع بالزي الموسمي الذي يتخذ صورة النحلة الاجتماعية، وأما الأسباب التي تتعلق بسارتر، فهي اختلال تكوينه، واتصال نسبه بالصهيونية، ففي تكوينه دلائل اختلال تبدو أعراضها في شيء كالشلل يعتري شقه الأيمن، وهو في نسبه نصف يهودي أو أكثر من نصف يهودي، لأن أمه يهودية، ومعظم أيامه يقضيها بين اليهود، وله عناية شديدة بالدفاع عن السامية، والحمل على حركة المقاومة لها، ذلك هو فحوى الفارق بين وجودية تخرج إلى التصوف، كما خرج "برديف" ووجودية تخرج إلى الأباحية والفوضى كما خرج سارتر. ولن تفهم المدارس الحديثة في أوربا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لاشك فيها، وهي: أن أصبعا من الأصابع اليهودية كاملة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم مجتمع الإنسان في جميع الأزمان عليه[1].

فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية، التي تهدم قواعد الأخلاق والآداب، وتقوض دعائم الأوطان والأديان.

واليهودي دور كايم[2] وراء علم الاجتماع، الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب.

واليهودي أو نصف اليهودي سارتر وراء الوجودية، التي نشأت معززة كرامة الفرد، فجنح بها إلى إباحة حيوانية تصيب الفرد والجماعة معًا بآفات القنوط والضياع والانحلال[3].

---

(١) السابق، صـ ٣١ بتصرف.

(٢) العقاد، بين الكتب والناس، صـ ٣١-٣٣، باختصار.

(٣) السابق.

والوجودية بعد ذلك: محاولة لتفسير الإنسان بالاستقلال عن المقولات العلمية، بل والاستقلال عن المقولات الدينية الخالصة، أو بعبارة أخرى: فإنها تستبعد في مذهبها الفكري: وجود إله، وتعتمد على التفسير المادي للكون(١).

ويذكر العلماء: أن الذين درسوا تاريخ هؤلاء الوجوديين، تبين لهم أن ظروف حياتهم هي التي أملت عليهم هذا الاتجاه في التفكير، فقد كان -كير كجارد- منطويًا على نفسه منعزلا، ولذلك حلل الوجود البشري تحليلا يعيش في جو الحصر النفسي، والتمزق الداخلي، والشعور بالخطيئة، وكذلك - سارتر-: إذ اهتم اهتمامًا كبيرًا بأعتباره داخلا في نسيج الوجود. فالفرد عنده يعيش في مواقف تتصف بالتميع، ويحاول أن يتخطى حدود نفسه ويخدعها، ومن أ جل أن وجوده مرتبط بوجود الآخرين، يرى: تصارع إرادتهم مع إرادته في جو كله غثيان، والفرد يسعى جاهدًا إلى تحقيق رغباته، لكن ذلك غير ممكن، لأن إمكاناته لا تسعفه(٢).

إن الوجودية في جملتها نوعًا مفرطًا من الأنانية.. أنها عداء للمجتمع الذي تراه، عذابًا وحربًا على الفرد، وعداء للقانون، وعداء للدين الذي يفرض مثاليات -مهما كانت هذه المثاليات- على الإنسان الفرد، ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الدعوة من أضرار وخيمة وتتلخص في:

أولا: هي تعزل الفرد وتبالغ في حريته وإرادته، حتى تكاد تلغي أي سلطان آخر على الفرد من دين، أو نظام، أو عادات، أو أعراف، أو تقاليد.

ثانيًا: هي تهز أسس المجتمع، وتعرض أمنه للخطر، بنظرة الفرد للمجتمع نظرة عدائية، باعتباره عذابًا وجحيمًا للآخرين.

---

(١) د. عبد المعطي بيومي، الله والفلسفة بين الفلسفة والدين، صـ ٤١٦- ٤١٧، بحث في حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة قطر، العدد: الرابع، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) مشيخة الأزهر، بيان للناس جـ ٢، صـ ٦١.

ثالثًا: هي لا تحاول أن توفق بين نزعات الفرد والمجتمع، فللمجتمع حق على الأفراد، يهبونه عن طيب خاطر من حرياتهم وأماليهم وأطماعهم الفردية، حتى تتسق الحياة، وينتظم دولاب العمل، وهم لا يؤمنون بذلك، وإذا حاولوا أن يطمسوا معالم هذا الزعم الأناني، فإن ذلك يكون في عبارات ملتوية، وتفسيرات عاجزة، لا تنهض مع أسسهم الفكرية.

رابعًا: وكان من جراء دعوتهم إلى الحرية المطلقة نشوء عديد من الانحرافات السلوكية، والانحلال الأخلاقي، وتحوير معاني الفلسفة الوجودية إلى ضرب من الإلحاد والضياع والفوضى والتحلل، وإطلاق الغرائز البهيمية، كالغيلان المسعورة[1].

ويمكن أن يحدد الإنسان أهم الصفات المميزة للوجوديين فيما يأتي:

- الإيمان بأن التجربة الفردية هي: أساس المعرفة، وليس العقل أو غيره، موصلا إلى معرفة الحقيقة.

- الإغراق في تقديس الحرية الشخصية فكرًا وسلوكًا، وعدم الاهتمام بالآخرين بقدر الاهتمام بالنفس، ولذلك كثر فيهم الشذوذ والتطرف والآراء الغريبة.

- التشاؤم والقلق والتمزق، فالوجودي يحاول أن يخلع نفسه من نفسه، ليعيش نفسًا أخرى[2].

ويمكن للباحث أن يعرض لبعض الأفكار والمعتقدات، التي جاء بها الوجوديون، والتي تمثل معوقًا خطيرًا أمام انتشار الإسلام، ومعول هدم لليقظة والصحوة والمسيرة الإسلامية، لنتبين الأخطار التي تحدق بالإنسانية من جراء

---

(١) نجيب الكيلاني، الإسلام والقوى المضادة، صـ ٩٩ - ١٠٠، بتصرف واختصار.

(٢) مشيخة الازهر، بيان للناس، جـ ٢، صـ ٦١.

هذه الفلسفة المارقة.

- أنهم يكفرون بالله -سبحانه وتعالى- ورسوله عليهم السلام وكتبه، وبكل الغيبيات، وكل ما جاءت به الأديان، ويعدونها معوقات أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذوا الإلحاد مبدأ. ووصلوا إلى ما يتبع ذلك وينجم عنه من نتائج مدمرة.

- يؤمنون إيمانًا مطلقًا بالوجود الإنساني، ويتخذونه منطلقًا لكل فكرة.

- يعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود: وما قبله كان عدمًا، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.

- يعتقدون بأن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة، لم تحل مشكلة الإنسان.

- يقولون: إن على الإنسان أن يطرح الماضي، وينكر كل القيود دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية.

- لا يؤمن بوجود قيم ثابتة، توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيمًا أو أخلاقًا معينة على الآخرين[1].

إن الوجودية كما ترى: تجرد الإنسان من كل ثقة في الحياة، وتهدم كل أساس ينطلق منه العمل، وأن للوجوديين تعبيرات غريبة عن التجربة الفردية التي يعيشونها[2].

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، صـ ٥٤٣.

(٢) مشيخة الأزهر، بيان للناس، جـ ٢، صـ ٦٢.

وإن الناظر في هذا الفكر يراه مخالفًا للإسلام، وذلك لما يأتي:

١- أن الإسلام يقوم على الإيمان بوجود الله -سبحانه وتعالى- وبالحياة الآخرة، فالوجود الزمني في الدنيا معه وجود آخر دائم بعد الموت، فالعدم ليس نهاية الوجود كله، بل إن الحياة الآخرة خير لمن اتقى واستقام أمره.

٢- ليست وسائل المعرفة الصحيحة قاصرة على إحساس الفرد نفسه، بما يعانيه من تجربة، فهناك العقل، وميدان التفكير واسع غير محدود، وهناك الوحي المنزل من عند الله -تعالى- على رسله عليهم أفضل الصلاة والتسليم.

٣- ليست الحرية الشخصية في الإسلام أو في أي دين آخر، بل في أي تشريع أو عرف حرية مطلقة بغير حدود، فهناك ضوابط موضوعة لاستقامة السلوك، وللمحافظة على حقوق الآخرين ضرورة أن الإنسان مدني بطبعه، لابد أن يعيش في مجتمع له حقوقه، ومعلوم أن الأهواء الشخصية مختلفة، وفي بعضها تضارب كبير، والإنسان ليس كالحيوانات التي تسيرها غرائزها في أكثر أحوالها.

٤- الإسلام لا يرضى التشاؤم المطلق أو اليأس المقنط، بل فتح باب الأمل، ودعا إلى النشاط والعمل ووعد بالعفو عن المسيء، إذا أناب إليه، وباليسر والفرج إن توكل عليه، وآمن برحمته وحكمته، وهو يباشر نشاطه المأمور به[1].

فالإسلام يؤمن بإرادة الإنسان السوي الحر، والإسلام لا يشعل حربًا بين الفرد والمجمتع، وإنما يعقد بينهما نوعًا من الوئام والمصالحة والتنسيق، فيعطي للفرد حقه، ويطالبه بأداء واجبه، وللفرد ذاته وفرديته التي تكون لبنة سوية في بناء المجتمع الشامخ، والمجتمع مجموعة الأفراد، فهما بهذا يكونان شيئًا واحدًا

---

(١) السابق، نفس الجزء والصفحة.

مدارس الأديرة، وعمل على إنشاء كراسي لهذه اللغات، في الجامعات: في أسبانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وأصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية، واستعين بعدد من علماء "اللاهوت"، وبعدد من المستشرقين اليهود، ممن أجادوا تلك اللغات، للقيام بتدريسها في تلك المدارس، ولتولي تلك الكراسي في الجامعات[١].

ثم توسعت الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس في أوائل القرن الرابع عشر، بإنشاء كراسي للغات العربية، والعبرية، والكلدانية، في عدد من الجامعات الرئيسية في أوربا وهي: جامعة باريس، وبولونيا، واكسفورد: وجامعة الفاتيكان نفسه مع تنصيب أستاذين لكل من هذه اللغات في كل كرسي، وتكليفهم بترجمة نصوص عربية، وعبرية، وكلدانية، للرد على منتقدي الدين المسيحي[٢].

والأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق: الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين، إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح ومن بين من تبنى هذا الرأى الذي فرض نفسه بالتدريج: "روجر بيكون" وغيره، وقد صادق مجمع فيينا الكنسي: ٧١١هـ -١٣١٢م على أفكار بيكون ومن معه. بشأن تعلم اللغات الإسلامية، واللغة العربية، على وجه الخصوص، وقد تم تنفيذ ذلك في جامعات باريس، وبولونيا، واكسفورد، وسلمنكا[٣].

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية في نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السياسية، والدبلوماسية مع الدولة العثمانية، التي اتسعت رقعتها حين ذاك. وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وايطاليا مع كل

---

(١) عبد العزيز القاري "المستشرقون في الميزان" صـ ٢٧٥، ٢٧٦.
(٢) نجيب العقيقي "المستشرقون" جـ ١، صـ ١٣٤.
(٣) د. محمد زقزوق "الإسلام والاستشراق" صـ ٧٥.

من: تركيا، وسوريا، ومصر، أثر كبير في دفع حركة الدراسات الاستشراقية[1].

وفي القرن السادس عشر وما بعده: أدت النزعة الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل، ومن ناحية أخرى، ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق، من أجل مصلحة التنصير[2]، ولذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشير (الغزو الفكري)، ويعود إلى أسباب دينية، فبعد عهد الإصلاح الديني شعر الأوربيون من البروتستانت، والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر في شروح كتبهم، فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية، وأخذوا يستفيدون مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق، فاصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية، والسياسية، إلى جانب غرضه الأول، وهو: التمهيد للمنصرين، وخدمة أهدافهم[3].

وقد كثر المستشرقون في أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب، إذ كان الشرط الأساسي للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود في الأصل شرقيون فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية، وعلى إدراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعدا لغير اليهود، وكذلك كان اليهود الذين يسكنون في الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعملية، التي كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمي إليها أكثر من غيرهم لجمعهم في الأصل بين الذهن الشرقي، والمسكن الغربي[4].

---

(١) المصدر السابق صـ ٧٥.

(٢) د محمود زقزوق "الإسلام والاستشراق" صـ ٧٥.

(٣) أحمد بشير "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" صـ ٤٦٩، ٤٧٠، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٤) د. عمر فروخ "الاستشراق في نطاق العلم، وفي نطاق السياسة" صـ ١٣٣، ١٣٤.

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهي: محاولة إضعاف الإسلام، والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام[١].

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم، ليصبحوا عنصرا أساسيا في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية الصليبية[٢].

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية، بوصفهم مستشرقين يهود، حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين، وبذلك كسبوا مرتين:

- كسبوا أولا: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

- وكسبوا ثانيا: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى[٣].

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة، ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال الاستشراق بابا ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين، فدخلوا في هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم، كما وجدوا في الصهيونية والماسونية وأندية الروتاري أبوابا أخرى يفرضون منها سيطرتهم على العرب والمسلمين[٤].

<u>وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودي في عدة شبهات:</u>

<u>أولا:</u> القول بأن المسلم معناه في الأصل: الخائن.

<u>ثانيا:</u> الادعاء بأن النبي ﷺ كانت تنتابه النوبة العصبية والصرع، ودليل

---

(١) د. محمد البهي "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار" صـ٥٣٤ (ملاحق).

(٢) د. محمود زقزوق "الاستشراق والخلفية الفكرية" صـ ٤٩.

(٣) المصدر السابق صـ ٤٩.

(٤) المصدر السابق صـ ٥٠، بتصرف.

ذلك ما كان يصيبه من الجهد، في خلال نزول الوحي، مع أنه ﷺ لم يعرف في تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها.

ثالثا: الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود، فاستفاد منهم كثيرا من القصص، واقتبس بعض أساليب التعبير، التي لم تكن معروفة للعرب، مثل: ذاق الموت، ونفخ في الصور، وفي آذانهم وقر. وهو ادعاء مسبوق رده مشركو مكة، الذين قالوا: ﴿.. إنما يعلمه بشر..﴾ [1]، وقد بكتهم القرآن الكريم، فقال: ﴿.. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين [2]﴾.

وقال تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾.

رابعا: الادعاء بأن محمدا ﷺ ما كان رسولا، ولا نبيا، فزعم للعرب في تجسس الأخبار، والاسرع بنقلها بطرق لم يوافق أحد من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها.

خامسا: أن محمدا ﷺ صادق الفراسة، نفاذ للرجال إذا لقي أحدهم، انكشف له سره، وافتضحت أمامه خفايا صدره، وعرف كيف يستميله، ويجذبه إليه.

سادسا: ما كان من بلاغ النبي ﷺ ورسالته، لم يكن وحيا يوحى. وإنما هو أنباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله، أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته.

سابعا: تزوج الرسول ﷺ بخديجة -رضي الله عنها- طمعا في ثروتها، وهي

---

(١) سورة النحل : آية ١٠٣.
(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٨.

أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد في الدنيا، وأنه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفه، بل جعله لعامة المسلمين لقوله ﷺ: ".. لا نورث، ما تركنا فهو صدقة.."[١].

ثامنا: الزعم أنه ﷺ أنشأ جمعية سرية، واختار أبو بكر الصديق رضي الله عنه رئيسا لها. فجعل يروج لها، ويتفانى في نشرها، فكانوا يجتمعون في بيت الأرقم، وأنهم كانوا يجتمعون سرا للصلاة وقد حاول المستشرق: "مرجليوث" تشبيههم بالماسون، وأن هذا الجمع قد اتخذ له رموزا، منها: (السلام عليكم).

تاسعا: الزعم بأن النبي ﷺ نظر في تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله العقل، وأنه وحد بين إله اليهود والنصارى، وجعلهما واحدا.

ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه، والحقيقة: أن التوحيد هو: دين جميع رسل الله سبحانه وتعالى -وأنبيائه- عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأن النصرانية واليهودية حرفتا هذه العقيدة[٢].

على هذا النحو: حاول الاستشراق اليهودي تصوير الإسلام ورسالته ونبيه ﷺ، وهو ما أورده "مرجليوث" في كتابه "محمد وظهور الإسلام"[٣].

وقد تابع "مرجليوث" على نفس الطريق في الاستشراق اليهودي "جولد سهير"، ويعد جولد سهير من أكبر الناقمين والحاقدين على الإسلام، كما يعد كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" مثلا لهذا التشويه الذي حاول به تمزيق

---

(١) رواه البخاري، في صحيحه مع فتح الباري، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: "ما تركنا صدقة" جـ ١٢، صـ ٥.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير. باب قول النبي ﷺ: "لا نورث ما تركنا صدقة"، جـ ٢، صـ ١٣٧٩.

(٢) أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، صـ ٣١١، ٣١٢. ط دار الاعتصام، بالقاهرة.

(٣) المصدر السابق، صـ ٣١٢.

الحقائق الإسلامية، والذي يمثل تزويرا فادحا، وتحريفا خطيرا لسمعة الإسلام[١]، وتبعه في نفس المسار المستشرق الألماني "شاخت". ويضيف جولد سهير إلى مفهوم الاستشراق اليهودي عدة شبهات:

أولا: القول ببشرية القرآن الكريم، أي: أنه ليس وحيا، وأن القرآن الكريم لم يأخذ خطا واحدا في التعبير عن مدلول القضايا التي ساقها، وأن أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية.

ثانيا: أن الإسلام كان مزيجا منتخبا من الفكر اليهودي والمسيحي.

ثالثا: استقبال الرسول ﷺ لبيت المقدس في الصلاة كان استرضاء لليهود.

رابعا: أن قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم مفتعلة، وأنها نزلت في المدينة إرضاء لليهود، والواقع أن القرآن الكريم تحدث عن إبراهيم عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن المكي، وأهمها (سورة إبراهيم).

خامسا: الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني[٢].

سادسا: أن الإسلام قام وانتشر بالسيف.

سابعا: الحديث النبوي من صناعة الصحابة والتابعين.

ثامنا: الجيوش العربية الإسلامية أخرجها القحط والجوع.

تاسعا: إنكار عالمية الرسالة المحمدية[٣].

ولا ريب أن هذه الشبهات وإثارتها بين المسلمين: تعد معوقا من معوقات

---

(١) المصدر السابق، صـ ٣١٤.

(٢) د. صوفي أبو طالب، بين الشريعة والقانون الروماني، صـ ٤، ط مكتبة كلية الحقوق، بالقاهرة، سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، د. فتحي المرصفاوي، دراسة تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، صـ ٣٦، ط: دار الفكر العربي، بالقاهرة، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) أنور الجندي "الإسلام في وجه التغريب" صـ ٣١٤.

انتشار الإسلام من قبل الأعداء، وهذه الشبهات ليست جديدة، وقد كشف الكتاب المسلمون، والعلماء المخلصون، فسادها، وزيفها، وفندوها.

وإذا كان الأمر -كما عرفنا- من بداية الحركة الاستشراقية، فإننا نرى أن الحركة الاستشراقية انتقلت إلى مرحلة أخرى، توجهت فيها إلى دراسة الإسلام، وما يتصل به، وكان الهدف من ذلك هو: التمهيد للاحتلال الزاحف في ذلك الوقت(١).

ولما أدرك الغرب أن التغلب على المسلمين، والتحكم فيهم عسكريا حدث قصير العمر، انصرفت همم المستشرقين وعلماء الغرب إلى الغزو الفكري، والتنصيري، أو تحويل المسلمين عن الإسلام(٢).

وكان السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى - كما يذكر الدكتور سمايلوفتش، إذ تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة(٣) لذلك قامت دراساتهم في الأعم الأغلب على التعصب ضد الإسلام، فلم تكن كراهيتهم للإسلام وثقافته عقلية فحسب، بل كانت كراهية عاطفية نتيجة لما وقر في نفوسهم من جراء الحروب الصليبية، وكان الميل العاطفي يطغى على التوازن العقلي، فهو موقف تعصب تنديد، فأوربا وإن لم تقبل تعاليم البوذية والهندوكية مثلا، إلا أنها تحتفظ بموقف عقلي متزن، فهي تنقدها نقدا علميا موضوعيا منطقيا.. أما مع الإسلام: فالأمر مختلف، ذلك أن الإتزان العقلي يختل تماما، ويحل محله التعصب المقيت، والميل العاطفي،

(١) د. عبد العظيم الديب "المستشرقون والتاريخ" مجلة (البعث الإسلامي)، العدد: الثاني والثالث، صـ ٢٤٣.

(٢) د. حسن ضياء الدين "الاستشراق" مجلة (كلية الشريعة)، العدد الخامس، صـ٢٦، ط مكة المكرمة، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) د. احمد سمايلوفتش "فلسفة الاستشراق" صـ ٤٩.

والكراهية الشديدة للإسلام[١]. وكأنه متهم في قفص الاتهام[٢].

وهذه المرحلة من أخطر المراحل ! بل هي الحرب الحقيقية، والغزوة الشرسة، التي لا تهدف إلى هدم المنشآت، وتمزيق الجيوش، والفتك بالجنود، بل تهدف إلى امتلاك القلوب، وزعزعة النفوس، وتحطيم العزائم، وطمس المعالم، وتعمية الطريق، وبذلك يضمنون الخضوع، من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحا[٣].

ولذلك عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، واحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة، محلها تحت اسم: الحضارة، أو العالمية، أو وحدة الثقافة، والفكر البشري[٤]، والإخاء الإنساني، وما إلى ذلك من مسميات.

ولاشك في أن خطورة الاستشراق تبدو في آثاره الخطيرة المدمرة، والتي تعد معوقا كبيرا لانتشار الإسلام، والتي يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة، والفكر في العالم الإسلامي، وقد حرص المستشرقون على كسب الأنصار، واستقدام الأتباع، لترديد مفترياتهم على الإسلام، وافتعال معارك حول عقائده، وآدابه، ومختلف أحكامه، لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها وترسيخها في الأذهان[٥].

---

(١) محمد أسد "الإسلام على مفترق الطرق" صـ ٥٢، ٥٣، ترجمة: عمر فروخ، ط التاسعة دار العلم للملايين، بيروت.

(٢) د. احمد عبده الشرباصي "التصوف عند المستشرقين" صـ ٧، ط نور الأمل، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، سلسلة الثقافة الإسلامية.

(٣) د. عبد العظيم الديب "المستشرقون والتاريخ" مجلة البعث الإسلامي، العدد الثاني والثالث، صـ ١٤٣.

(٤) د. علي محمد جريشة، وحمد شريف الزيبق "أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي" صـ ٣٠، ط دار الاعتصام ، بالقاهرة، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٥) المصدر السابق، صـ ٣٢، ٣٣.

ومما يؤلم الإنسان المؤمن: أن بعض الدول المسلمة أخذت تستعين ببعض هؤلاء المستشرقين للتدريس بجامعاتها، يدرسون أبناء الإسلام التاريخ، والدين، والأدب، وغير ذلك، وينفثون من خلال ذلك سمومهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين، لينظر هؤلاء الطلاب إلى دينهم نظرة كراهية وازدراء، وعدم ثقة به، وبما جاء به من مبادئ سامية.

ومن الأمثلة على ذلك: مصر فقد استعانت بعلماء الاستشراق للتدريس بجامعتها، وكان من أولئك الذين استدعتهم مصر المستشرق الإيطالي "جويدي". وقد انتدبته الجامعة المصرية، أستاذا بها، سنة: ١٣٢٦هـ -١٩٠٨م، ومنهم: "نالينو"، الذي دعي سنة: ١٣٢٧هـ -١٩٠٩م لإلقاء بعض المحاضرات، وكذلك "فييت" الفرنسي، وقد انتدبته سنة: ١٣٣٠هـ - ١٢١٢م، وغيرهم[١].

وما برحت مصر منذ إنشاء الجامعة المصرية القديمة إلى اليوم: تستقدم المستشرقين، لتستعين بهم في تدريس الآداب العربية[٢].

وأشار أحد طلاب الجامعة المصرية في ذكريات له -فيما بعد- فقال: إن أستاذهم في التاريخ في مصر "مستر هيل" كان يعلمهم أن شارل مارتل الذي هزم المسلمين والعرب في موقعة "بواتييه" هو الذي أنقذ المدنية الغربية من السقوط في أيدي البرابرة المتوحشين، يقول صاحب الذكريات: وقد كتبنا هذا بأنفسنا وبأيدينا بإملاء أستاذنا الذي مثل لنا الأمة المسلمة بالأمة المتوحشة[٣].

وقد تسلل عدد من المستشرقين إلى المجامع العلمية، وعين عدد منهم

---

(١) د. أحمد سمايلوفتش "فلسفة الاستشراق" صـ ٥٤٦.

(٢) المصدر السابق صـ ٤٧.

(٣) أنور الجندي "مقدمات العلوم والمناهج" جـ ١، صـ ٢٣١، ٢٣٢، ط الأولى، دار الأنصار، بالقاهرة، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

أعضاء في هذه المجامع، كما اتجه المستشرقون إلى مجال التربية والتعليم، إذ مكن لهم المحتلون، فأفسدوا عقول الناشئة، وغرسوا فيها كثيرا من مبادئ التربية الغربية، فشب كثير من المسلمين مستغربين في حياتهم وتفكيرهم[١].

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين، ويعد حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم، وأعجب ما في طه حسين ولاؤه الشديد لانضواء المسلمين تحت لواء الغرب[٢]. وقطع صلة المصريين بالإسلام، وقد عرف طه حسين طلائع المستشرقين في الجامعة المصرية القديمة، ثم ألقى بنفسه في أحضانهم عندما سافر إلى فرنسا للدراسة بها، ما بين سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م، ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م، إذ تتلمذ عليهم[٣].

وقد سعى المستشرقون إلى إلحاق طه حسين بكل مؤتمراتهم، وكانوا فرحين به، لأنه يأخذ خططهم، فينفذها، ويقدم لهم من التقارير ما يرضيهم[٤]، فصاحب البيت أدرى بالذي فيه[٥].

وتذكر بعض الدراسات: أن الدكتور طه حسين اعتنق النصرانية[٦]، وهناك حقائق تقول:

١- أنه تزوج بفرنسية تحمل اسما مسيحيا، رضيت أن تتبعه إلى مصر، برغم فقره، وكونه ضريرا.

---

(١) احمد بشير "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" صـ ٤٧٢.

(٢) د. علي جريشة "أساليب الغزو الفكري" صـ ٢٣.

(٣) أنور الجندي "طه حسين، حياته وفكره في ميزان الإسلام" صـ ٣٢ دار الاعتصام، بالقاهرة، سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٤) المصدر السابق صـ ٣٨.

(٥) د. عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، صـ ١٤١.

(٦) جابر رزق "طه حسين، الجريمة والإدانة" صـ ١٤٤، ط دار الاعتصام، بالقاهرة، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢- أن ذلك لم يؤثر على علاقته بأسرة زوجته المسيحية جدا، إلى درجة أن أحد أقطابها قسيس في كنيسة.

٣- اتخذ ملازما له إنسانا نصرانيا.

٤- جعل ديدنه الهجوم على الإسلام ومؤسساته، وترويج آراء المستشرقين من يهود ونصارى، ممن استقدمهم وملأ بهم كلية الآداب(١).

ويرى كثير من العلماء: أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين، هما: الاحتلال، والتنصير، وأنه ما زال يعمل من أجل هذا الغرض الذي ولد من أجله، وإن غير أساليبه وجلده مرات، ليتلاءم مع الظروف المختلفة(٢).

أما الاحتلال الصليبي: فهو يرى أن المفهوم الإسلامي السليم من شأنه أن يعطي الأمة المسلمة قوة رهيبة تحول دون سيطرته واستمراره.

وأما التنصير: فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، وقد أضيف إلى هذين الأبوين أب ثالث، هو: الصهيونية، التي تهدف من سيطرتها على الاستشراق الحيلولة دون تجمع المسلمين والعرب في وحدة تقاوم الصهيونية(٣).

ولقد كان ولا يزال الارتباط الجذري بين التنصير والاستشراق أخذا وعطاء قويا، والفرق بينهما هو: أن الاستشراق أخذ صورة البحث وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التنصير في حدود مظاهر العقلية العامة، وهي: العقلية الشعبية.

واستخدم الاستشراق: الكتاب، والمقال في المجلات العلمية، وكرسي

---

(١) المصدر السابق صـ ١٤١.

(٢) أنور الجندي "الإسلام في وجه التغريب" صـ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق صـ ٢٦٦.

التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة.

أما التنصير: فقد سلك طريق التعلم المدرسي في دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمراحل الابتدائية، والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات، ودور الضيافة، والملاجئ للكبار، ودور اليتامى، واللقطاء، واستخدم كذلك دور النشر والطباعة، والصحافة[١].

وإذا كان الأمر -كما ذكرنا-: فإنه ولاشك كان للاستشراق صلة بحركة الاحتلال الأوروبي، وبحركة التبشير المسيحي في العصر الحديث.

كانت الغاية الأولى من هذا الاستشراق: معرفة اللغة العربية، ذلك أن اللغة هي الوسيلة الأساس للسيطرة على الشعوب المحكومة، أو الوصول إلى تفهم شعب عقائد شعب آخر، فالاستشراق قد نشأ إذن أول ما نشأ في سبيل التنصير، وفي سبيل الاحتلال، والدليل على ذلك: أن الاستشراق قد نشأ في الدول الكبيرة القوية ذات المطامع في التوسع في الأرض. وفي الدول التي أصبح لها -فيما بعد- مستعمرات مثل انجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وأسبانيا، وبلجيكا، وهولندا، وروسيا.

وحاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس، بشروا بالنصرانية بين المسلمين وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات، وعقدوا الندوات والمؤتمرات وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم.

وفي سنة: ١٢٠١هـ - ١٧٨٧م: أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين، ألحقوها بأخرى في سنة: ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م.

---

(١) د. محمد البهي "المبشرون والمستشرقون" صـ ٣٦١.

وفي لندن: تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في سنة ١٢٣٨هـ - ١٨٢٣م، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها. وأصدرت مجلة "الجمعية الأسيوية الملكية".

وفي سنة: ١٣٥٨هـ - ١٨٤٢م: أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم "الجمعية الشرقية الأمريكية". وفي العام نفسه: أصدر المستشرقون الألمان مجلة مخصوصة بهم. وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا، وروسيا[١].

ويصدر الأمريكيون في الوقت الحاضر مجلة "شئون الشرق الأوسط" وقد حلت محل "جمعية الدراسات الشرقية"، التي كانوا يصدرونها في أوائل هذا القرن، وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون: هي مجلة "العالم الإسلامي" التي أنشأها "صموئيل زويسر" سنة: ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، وتصدر من "هارتفورد" بأمريكا، وطابعها تنصيري سافر[٢].

وللفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامي في روحها واتجاهها العدائي التنصيري، وفي اسمها أيضاً[٣].

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون -حتى الآن- هو: إصدار "دائرة المعارف الإسلامية" بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم، على ما فيها من خلل وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين[٤].

---

(١) د. محمد البهي "المبشرون والمستشرقون" صـ ٣٧٧.
(٢) احمد بشير "الغزو الفكري" صـ ٤٧١.
(٣) د. محمد البهي "التبشير والاستشراق" صـ ٣٧٨.
(٤) د. محمد البهي "التبشير والاستشراق" صـ ٣٧٨.

ويعتمد المستشرقون -فيما يعتمدون-: على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر: لتنظيم نشاطهم. وأول مؤتمر عقدوه كان في سنة: ١١٩٧هـ - ١٧٨٢م: وما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم.

وفي العصر الحديث: تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب، بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي، من الإغداق على المستشرقين والمنصرين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق والتنصير[١].

واتجه المستشرقون والمنصرون بمعاونة الاحتلال إلى مجال التربية: محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين، حتى يشبوا مستغربين، في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية[٢].

ولا يعرف العقل، ولا المنطق، حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف التاريخ الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور والأثر، الذي كان للإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية.

إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك في هذا الجانب، والتفاوت -إن وجد بينهم- إنما هو في الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصبا وحقدا وعداء ضد الإسلام، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه[٣].

والمستشرقون يتدخلون بشخصياتهم وآرائهم وأهوائهم الخاصة، فيفسرون الحوادث، ويناقشون النصوص التشريعية، ويحللون قضايا اللغة

(١) المصدر السابق صـ ٣٧٨.

(٢) مجلة العالم الإسلامي، صـ ٢٧، العدد الصادر في: ٢٥ شعبان سنة ١٣٧٧هـ، الموافق ١٦ مارس سنة ١٩٥٨م.

(٣) د. محمد البهي "المبشرون والمستشرقون" صـ ٣٧٩.

العربية، وشخصيات الحضارة الإسلامية، كل ذلك يدرسونه من وجهة نظرهم، ويطلون عليه من نافذتهم الخاصة، فيلقون عليه ظلالا معينة، تغير معالم الصورة الأصلية. وفي غالب الأحيان: تعطينا دراساتهم صورة غريبة مشوهة لحضارة شرقية، وتقدم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية.. هذا مع أنه توفرت للمستشرقين من الإمكانات والعوامل المساعدة ما لم يتوفر لأحد، خصوصا عندما بسطت أوربا بالصليبية نفوذها وسيطرتها الإحتلاليه على منطقة العالم الإسلامي، وفتحت الأجواء فسيحة للمستشرقين، والمنصرين، يتجولون في المنطقة بحرية تامة، ويعبثون بمصادر الثقافة فيها. ومعالم الحضارة[١]، بل ويستولون على كثير من المخطوطات الإسلامية الثمينة التي تشكل بمجموعها صرح المكتبة الإسلامية الكبرى، فينهبون المخطوطات، وينقلونها إلى أوربا.

ولا نكون مجانبين للصواب إذا جزمنا أن حوالي ٩٠٪ من المخطوطات الثمينة نهبت، وانتقلت إلى مكتبات وجامعات أوربا وأمريكا، وذلك على أيدي المستشرقين الذي كانوا ينتقونها بخبرة ومعرفة دقيقتين[٢].

وكان انتقال هذا التراث إلى أيدي دوائر الاستشراق واحدا من أخطر التحديات والمعوقات للإسلام والمسلمين، لأنه أصبح حجة لنا، لا علينا، وأصبح إحياؤه يجري على النحو الذي يختاره الاستشراق، لا وفق إرادتنا الخاصة[٣].

لذا أحيا المستشرقون التراث الباطني، والمجوسي، والغنوصي القديم، مستهدفين تحطيم الفكر الإسلامي الأصيل[٤]، ويبدو هذا واضحا في تركيزهم على إحياء أنواع معينة. وأولوها اهتماما كبيرا، منها: دراسات الحلاج، التي عني

(١) المصدر السابق صـ ٢٧٧.
(٢) المصدر السابق صـ ٢٧٧.
(٣) انور الجندي "الإسلام في وجه التغريب" صـ ٣٣٩، بتصرف.
(٤) د. علي محمد جريشة وآخرين "أساليب الغزو الفكري" صـ ٢٥.

بها المستشرق "ماسنيون" ودراسات عن السهروردي وبشار بن برد، وأبو نواس، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وما يتصل بابن الراوندي، وإحياء الأغاني، وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم، من شأنها: أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل، أو تزيفه[١]، وبالتالي عرقلة المسيرة الإسلامية.

وأن أي محاولة لتصور فلسفة الاستشراق، لا تعدو ما أورده، الباحثون المنصفون، من أنها: محاولة الاحتلال الصليبي الغربي، لدراسة العقلية العربية الإسلامية، والنفسية العربية الإسلامية، بقصد الانتفاع بذلك في التعامل معها، والسيطرة عليها، وتدمير مقوماتها، التي أعطتها القدرة على التماسك والصمود[٢].

ويخلط الاستشراق كثيرا بين الإسلام كدين، وتعاليم ثابتة في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم.

فإسلام الكتاب والسنة: يعد في نظر بعض المستشرقين المعاصرين إسلاما ميتا، أما الإسلام الحي الذي يجب الاهتمام به ودراسته: فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية، هو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم، بصرف النظر عن اقترابها، أو ابتعادها من الإسلام الأول[٣].

والحقيقة: أن الإسلام هو الإسلام، والعيب فينا معشر المسلمين.

ويؤكد الاستشراق بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام، كالبابية، والبهائية، والقاديانية، وغيرها من فرق قديمة وحديثة، كما يعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، والمستشرقون يعدون المنشقين

---

(١) أنور الجندي "الإسلام في مواجهة التغريب" صـ ٤٠٠.

(٢) المصدر السابق صـ ٤٠٢.

(٣) د. محمود زقزوق "الاستشراق والخلفية الفكرية" صـ١١٦.

عن الإسلام -على الدوام- أصحاب فكر ثوري، تحرري عقلي، فدائما يهتمون بكل غريب وشاذ يعطل مسيرة نشر الإسلام على الوجه الصحيح[١].

فالاستشراق في شطريه: عاملا مع الكنيسة، أو عاملا مع الاحتلال الصليبي، لا يستطيع أن يخلص إلى الحق، وإنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات، وتقديم المزاد الكافي لدراسات التنصير، ومعاهد الإرساليات، لإيجاد تيار زائف مضلل[٢].

وكان من بين الخطط التي دبرت: أن يعمل المنصرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الإسلامي، وإظهاره -برغم وحدانيته- في صورة أدنى إلى الغريزة البشرية، وأنه يصلح لإشباع النزعات الدنيئة السطحية، دون التعمق وتهذيب الروح والخلق، وزعموا: أنه دين يشجع الحياة الجنسية، يدعو إلى الخمول والكسل، والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر.

ولقد عاون المستشرقون في تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات الباطلة، وتوسعوا فيها[٣]. وهذا يعد قانون التبشير.

---

(١) المصدر السابق صـ ١١٦.
(٢) أنور الجندي "الإسلام في مواجهة التغريب". صـ ٤٠٢.
(٣) د. احمد سمايلوفتش "فلسفة الاستشراق" صـ ١٣٧.

التبشير

من معاول الهدم التي تعوق العمل الإسلامي، وتعرقل المسيرة الإسلامية من الانتشار: "التبشير" والتبشير، حركة دينية، سياسية، احتلالية، صليبية بدأت بالظهور أثر فشل الحروب الصليبية[١]، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة، في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب[٢].

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالمسيحية في العالم الإسلامي بالذات في القرون الأخيرة. لتقتلع الإسلام من نفوس الناس وتحل النصرانية محله، مما يطلق عليه عند بعضهم: حملات التنصير، يوضح ذلك المبشر "رايد" في قوله: "إني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح. ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة. أنا لا أحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية، ولولا أني أريد ربحه إلى صفوف النصارى، لما كنت تعرضت له لأساعده"[٣].

وأنت ترى من هذه المقولة التي قالها ذلك المنصر: أن التبشير حركة خطيرة، موجهة ضد الإسلام لاجتثاثه من الجذور، ولمنع انتشاره بين الناس، وإذا قرأت بعض أقوال من يسمونهم مبشرين: تدرك أن حركة التنصير حركة معرقلة لانتشار الإسلام ومده، في المجتمعات الإنسانية، ويذكر صموئيل زويمر: "أنه لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل، أو أن ييأس ويقنط،

---

(١) د. علي محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق "أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي" صـ ٢٩.

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، صـ ١٩٥.

(٣) مصطفى الخالدي، وعمر فروخ "التبشير والاستعمار" صـ ١٩٢، ط المكتبة العصرية، ببيروت، سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية، لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم، عندما تذبذب مسلما، وتجعل الإسلام يخسره تعتبر (تعد) ناجحا يا أيها المبشر المسيحي، يكفي أن تذبذبه، ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا"[١].

لقد أفادت الدراسات: أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق ا لحرب أو القوة، ذلك لأن في دينهم عامل حاسم، هو عامل المواجهة أو المقاومة والجهاد، وبذل النفس، والدم، رخيصا في سبيل حماية العرض والأرض، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين، فمن المستحيل السيطرة عليهم، لأنهم قادرون دوما -انطلاقا من عقيدتهم- على المقاومة، ودحر الغزو الذي يقتحم بلادهم، وأنه لابد من إيجاد سبيل آخر من شأنه أن يزيف هذا المفهوم عند المسلمين، حتى يصبح مفهوما أدبيا أو وجدانيا، وإيجاد ما يبرره على نحو من الأنحاء، بحيث تسقط خطورته واندفاعاته، وأن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامي، وتحويله من منطلقاته وأهدافه الأصيلة، حتى يستسلم المسلمون أمام القوى الغربية، وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء[٢].

فأنت ترى أنه نتيجة لفشل الحروب الصليبية الصاخبة في تحقيق أهدافها، التي تتلخص في السيطرة على العالم الإسلامي واستنزاف ثرواته، فقد استدار الاحتلال الغربي، وذلك باستحداث وسائل أخرى، يأتي التبشير في مقدمتها، لكونه غزوا صامتا، يستطيع التسلل في الظلام خلف الأقنعة والشعارات الزائفة[٣].

---

(١) د. علي عبد الحليم محمود "الغزو الفكري" صـ ١٣٨.

(٢) أنور الجندي "الإسلام في وجه التغريب" صـ ٥، ط: الأولى دار الاعتصام بالقاهرة.

(٣) احمد عبد الوهاب "حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر" صـ ١٥٧، ط الأولى، مكتبة وهبة، بالقاهرة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ولما كانت خبرات الحياة - وبخاصة في مجال الحرب - تبين أن بعض الوسائل اللازمة لتحقيق الهدف النهائي لصراع مما، قد تعد أهدافا مبدئية يلزم تحقيقها في المراحل الأولى من ذلك الصراع، فقد عمد الاحتلال الصليبي الوثني إلى جعل هدفه المبدئي والعاجل، هو: هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وإضعاف تلك الصلة ا لقوية المعروفة، التي تربط المسلم بدينه[١].

يقول المبشر الفرنسي "لوشاتليه": كنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفاصيل أعمال هذه الإرساليات (البروتستانتية) التي اشتهرت بخطتها، ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام، إن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتي بنفع كثير في البلاد الإسلامية، إذ أنها تبث الأفكار الأوربية، إلا أن لإرساليات التبشير مطامع أخرى.

ويذكر القس الخبيث صمونيل زومير: "أنه لنتيجة التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم، أو بالأحرى: مزيتي تحليل، وتركيب، والأمر الذي لا مرية فيه، هو: أن حظ المنصرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام، ومبادئه الخلقية، هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم، واعتنقوا النصرانية في طرف خفي"[٢].

ويقول القس الحاقد زويمر في مؤتمر تبشيري: أن التبشير قد وصل إلى أسمى غاية في مهاجمة الإسلام، وأدى المهمة على أكملها، وانتهى إلى نتائج لم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أنور الجندي "الإسلام في وجه التغريب" ص ٧١.

يكن أحد يحلم بها منذ الحروب الصليبية، ليس عمل التبشير إزاء الإسلام، هو: إخراج المسلمين من دينهم، ليكونوا مسيحيين، لقد برهن التاريخ من أبعد أزمنته على أن المسلم لا يمكن أن يكون مسيحيا مطلقا، والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة المسيحيين على استحالة ذلك، ولكن الغاية التي نرمي إليها، هي: إخراج المسلمين من الإسلام فقط ليكون إما ملحدا، أو مضطربا، أو متشككا في دينه، وعندما لا يكون مسلما، أي: لا يكون له عقيدة يدين بها، ويسترشد ضميره بمهمتها، وعندما لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم، عندها لا يكون مسيحيا ولا يهوديا، ملحدا لا يؤمن إلا بالمادة، أو مضطربا يحتقر الإسلام والمسلمين، لقد قضينا على برامج التعليم في الأقطار الإسلامية، فأخرجنا منها القرآن، وتاريخ الإسلام، ومن ثم أخرجنا الشباب المسلم من الوسائط التي توجد فيها العقيدة والوطنية والإخلاص والرجولة، والدفاع عن الحق، الواقع أن القضاء على الإسلام في مدارس المسلمين هو: أكبر واسطة للتنصير، وقد جنينا منه أعظم الثمرات[١].

إن ما جاء على ألسنة قساوسة التنصير في مؤتمراتهم التنصيرية مما نقلت بعضا منه، ليعد من أكبر المعوقات لانتشار الإسلام، ومن أعظم الأخطار المحدقة بالمسلمين والإسلام.

وقد كانت جمعيات التبشير ومؤتمرات المنصرين، تقوم في المجتمعات المسلمة المختلفة، وكان القس زويمر -رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين- أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية، للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وفي سنة: ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م: أذاع اقتراحه، وأبان الكيفية التي يكون بها، فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث في "ميسور" من ولاية "أكرا" في الهند، لأن هذه الولاية ذات

---

(١) المصدر السابق، صـ ٧٢.

أهمية كبرى من حيث المسائل الإسلامية، لوجود جامعة عليكرة هناك، ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التنصير الذي ينعقد في مدينة "مدراس" الهندية كل عشر سنوات، فأجاز عقده وأن اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتنصير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعي وبدهي.

وإذا كان الأمر خطيرا -كما وضح لنا- فإن أكبر خطوة حقيقية في سبيل اتساع نطاق التنصير بعد الحرب العالمية الأولى تفسر ذلك الدعم المادي الخطير الذي واجهته إرساليات التنصير المختلفة في العالم الإسلامي وارتفاع المد التنصيري، وبلوغه الذروة إنما ترجع إلى معاهدة "لاتيران" التي عقدتها الحكومة الإيطالية مع الفاتيكان، والمعروف أن خطوات التنصير في العالم الإسلامي قد تلاحقت منذ مطالع القرن الثامن عشر، غير أن خطواتها الضخمة قد تمت في فترة ما بين الحربين، هذه الفترة التي يطلق عليها فترة انضاج الثمار، التي سيكون لها الصدارة في مجالات القيادات السياسية والثقافية في العالم الإسلامي كله، ولذلك حرص الاحتلال أن يبقى في هذه المرحلة حارسا لهذه المؤسسات، ومدعما لها حتى تتم مهمتها، وتركز أقدامها بحيث يصبح من المستحيل بعد ذلك إجلاؤها عن قواعدها[١].

وقد عقد مؤتمر تنصيري في "أدنبرج" سنة: ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م وأعمال هذا المؤتمر لم تكن حبرا على ورق، بدليل أن المؤتمر الاحتلالي الصليبي الألماني الذي عقد عقب مؤتمر "أدنبرج" التنصيري، اهتم بأمر إرساليات التنصير الجرمانية، حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الاستعماري السياسي تحول إلى مؤتمر تنصيري ديني[٢].

وقد استمرت إرساليات التنصير ولا تزال تنخر في جسم العالم الإسلامي

(١) أنور الجندي "الإسلام في وجه التغريب" صـ ٧٣.
(٢) محب الدين الخطيب، وساعد اليافي "الغارة على العالم الإسلامي" صـ ٤٠.

سنوات طويلة، إلى أن دعا زويمر إلى مؤتمر تنصيري شهير عقد بالقدس سنة: ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، وفي هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة أعمال المنصرين في العالم الإسلامي، فقال مخاطبا الحاضرين مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا فيها مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية[١].

وأن الواقف على قضايا التنصير يجد أن هؤلاء المنصرين يختلفون بين زمن وآخر، كذلك طرق التنصير اختلفت من جيل إلى جيل، ومن قطر إلى قطر، فبينما كان التنصير في القرن التاسع عشر مخصوصا بأشخاص اتخذوا التنصير عملا لهم، ثم حاولوا نشر النصرانية بجدال المسلمين، ومحاولة تبيان فضل النصرانية على الإسلام وبإصرار على الجانب الغيبي من حياة المسيح، وجدنا زعماء التنصير في العالم البروتستانتي بخاصة يرون أن هذا المظهر الديني الصارخ يعرقل أعمال المنصر[٢].

ومما يجدر بنا أن نعرفه: أنه من الواضح أن التبشير المسيحي في العالم الإسلامي هو في حقيقته حرب صليبية، وهو امتداد لتلك الحروب الصليبية الصاخبة التي بدأها الغرب المسيحي منذ تسعة قرون[٣].

وإذا كان ليس من مهمتنا أن نؤرخ لمؤتمرات التبشير والإرساليات، وليس

---

(١) احمد عبد الوهاب، "حقيقة التبشير" صـ ١٦٠ - ١٦١.

(٢) د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ "التبشير والاستعمار" صـ ٥٠.

(٣) احمد عبد الوهاب "حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر" صـ ١٥٦.

من شأننا أن نعرض لأسماء المشاركين فيها والقائمين عليها، فحسبنا أن ندرك خطورة هذه الأعمال التنصيرية في عرقلة نشر المد الإسلامي وآثارها المحدقة على المجتمعات الإسلامية، وعلينا أن نتبين أهداف التنصير، لنكون على بينة من المعوقات التي تهدد المسلمين وتأخذ بهم إلى طريق بعيد عن الصواب.

والباحث في أهداف التبشير وتحويل المسلمين عن الإسلام: يجد أن التبشير يسعى لتحقيق أهداف وأغراض تنطلق من عنصرين رئيسين هما:

١- هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله، وجعلهم مسخا لا تعرف عوامل الحياة القوية، التي لا تقوم إلا على العقيدة القويمة، والأخلاق الفاضلة.

٢- إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاحتلال الصليبي، والتحكم في مقدراته وإمكاناته[١].

وهذان العنصران الرئيسيان يضمان تحتهما مجموعة من الأهداف والأغراض، نجدها في النقاط الآتية:

- توهين قيم الفكر العربي الإسلامي، والغض من اللغة العربية الفصحى.

- إضعاف التمسك الداخلي.

- إيجاد تخاذل روحي ومعنوي، وإيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين بعامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للمدنية المادية.

- إضعاف العقيدة الصحيحة في نفوس المؤمنين بها، على أساس أن الشعوب التي تنحل عقائدها القوية وتضعف، تغدو فريسة سهلة للغزو الفكري.

---

(١) السابق ، صـ ١٦٢.

- تقطيع أواصر الوحدة والإخاء والترابط بين أبناء الأمة المسلمة.

- السخرية والتشكيك بمختلف الجوانب التي يعتز بها المسلمون من تاريخ وتراث وقرآن وبطولات وأمجاد، والاحتقار والازدراء بالعالم الإسلامي وأممه في المجالات المختلفة، ووصفه بالضعف والتأخر، وتسميته بالأمم المتخلفة.

- تأجيج الخلافات بين الطوائف، وإثارة الفتن والقلاقل، في المجتمعات الإسلامية.

- إفساد الخصائص الذاتية في الشعوب الإسلامية(١).

فأنت ترى أن هذه الأهداف والأغراض تشكل مواجهة خطيرة أمام انتشار الإسلام، وقد بات واضحا أن الاحتلال الصليبي كان يتدخل بنفوذه وسلطانه لحماية المنصرين، وتبرير إفسادهم لعقائد الناس.

وما نشر من أضاليل عن الإسلام لا يحصر ولا يعد، إنها أضاليل تنشر متتابعة متكررة، تتردد في صور مختلفة، وينتهي بها التكرار والترديد إلى إيمان بعض من تنشر عليهم بها.

وتعليمات التبشير تسير وفق مخطط رهيب رسمه المبشرون الكبار في خبث، ومكر، ودهاء، وقد جاء في هذا المخطط:

١- أن طريقة التبشير في البلاد الإسلامية تتركز في إنشاء معاهد تسبغ على نفسها صفات المعاهد العلمية، وتتستر وراء هذا الستار(٢).

٢- إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي، وإبعاد العناصر التي تمثل الإسلام عن مراكز التوجيه، فإذا لم تنجح الدعوة إلى

---

(١) أنور الجندي "مقدمات العلوم والمناهج" جـ١، صـ٢٠٩، ٢١٠، ط دار الأنصار، بالقاهرة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩.

(٢) أنور الجندي "الإسلام في مواجهة التغريب" صـ ٨٢.

الخروج من الإسلام إلى دين آخر، جرى تشكيكهم في الدين المطلق، لقد استهدف التنصير نقل المسلمين من الإسلام وخطا في سبيل ذلك خطوات واسعة[١].

٤- على المبشرات أن يزرن منازل المسلمين، ويجتمعن بسيداتهن.

٥- استعانة المبشرين في سبيل إنقاذ دعايتهم بالمستشفيات والمدارس والملاجئ.

٦- على طبيب الإرسالية ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه منصر قبل كل شيء، وطبيب بعد ذلك.

٧- استغلال فرصة المرض، وبخاصة في البلدان المسلمة الفقيرة التي تنتشر فيها الأمراض، كمرض الجذام وغيره، والسيطرة على المريض، وانتهاز فرصة الضعف والحاجة، وعدم القدرة على التفهم، والاقتناع، والدس للعقل الباطن بالإيحاء[٢].

٨- على المنصرين أن يتلونوا لتحقيق هدفهم التنصيري، يجب أن يظلوا برءا كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم -أيضا- أن يكونوا حكماء كالحيات[٣].

٩- تجنيد جيوش كثيفة من المبشرين، يدفع بها إلى أوطان المسلمين[٤].

١٠- العمل على تفريق المجتمعات المسلمة، وتقسيمها، وتمزيقها، كما هو الحال في لبنان وجنوب السودان.

ومما يلحظه الباحث: أن المبشرين اتخذوا للتبشير بين المسلمين وسائل

---

(١) المصدر السابق، صـ ٨٣.

(٢) أنور الجندي "مقدمات العلوم والمناهج" جـ١، صـ ٣١٠.

(٣) د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ "التبشير والاستعمار" صـ ٥٢، وهذا الكلام للمنصر: "تشارلس واطسون".

(٤) عبد الكريم يونس الخطيب "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" صـ ٤٣٥.

عديدة شملت كل نواحي التأثير في الإنسان، مما يجعل التنصير أكبر معوق لانتشار الإسلام. ومن أ هم هذه الأمور:

أولا: المدارس التبشيرية، والإرساليات التعليمية:

فقد دأب التبشير في البلاد الإسلامية على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات، وجاء في قرارات المؤتمرات التبشيرية في مجال التعليم: أنه في كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجها نحو النشء الصغير من المسلمين، وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم، وليكونوا منه على صلة مباشرة، ويجب أن يقدم هذا على سواه في الأقطار المسلمة[١].

ومخطط التبشير يرمي في مجال التعليم والثقافة إلى إنشاء رياض الأطفال والمدارس العامة والفنية المتخصصة، وإنشاء الجامعات والكليات وإنشاء كوادر مؤهلة علميا، لتتولى أخطر المناصب في البلاد[٢].

والتعليم في مدارس الإرساليات النصرانية واسطة إلى غاية، تتحقق بإبعاد المسلمين عن الإسلام، ولقد برهن التعليم التنصيري على أنه من أعظم الوسائل التي استطاع المنصرون اللجوء إليها.

ومما يجدر ذكره: أن المبشرين يهتمون بالمدارس ذات القسم الداخلي، وبخاصة للبنات، كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات، إذ يؤدي ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التنصير مباشرة[٣].

والباحث يرى أن تأثير التبشير في مجال التعليم قائم على طريقين:

---

(١) أنور الجندي "مقدمات العلوم والمناهج" جـ١، صـ ٣١٤.

(٢) أنور الجندي "تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة" صـ ٢٧.

(٣) احمد عبد الوهاب "حقيقة التبشير بين الماضي و الحاضر" صـ ١٦٦.

١- التأثير في برامج المدارس الحكومية، وتوجيهها عن طريق النفوذ الاستعماري الصليبي، الذي غزا المجتمعات فكريا وسياسيا.

٢- برامج المدارس والمعاهد والجامعات التابعة للمبشرين أنفسهم، فعن طريق التعليم اتخذ التنصير وسيلة إلى تغيير المفاهيم الأساس، والقيم(١).

ولعلنا ندرك أن المدارس التبشيرية من أخطر الأساليب التنصيرية فتكا بالمجتمع المسلم، وأكثر إبعادا للإسلام من نفوس المتعلمين، لما لها من تأثير، وقد عانت بعضي المجتمعات المسلمة من هذه المدارس، وممن تخرجوا فيها، ولا زالت تعاني من شدة التأثير.

ثانيا: التطبيب:

التطبيب موضوع إنساني كان يمكن أن يكون بمنأى عن الأغراض ولكن النصرانية تستغل مثل هذه الأمور، فتدخل على الناس من أبوابها.

من أجل ذلك عني المنصرون أول ما عنوا بالتطبيب، على أنه واسطة إلى غاية، أن اليسوعيين مثلا قد أسسوا أكثر أعمالهم التبشيرية في سورية إلى جانب مراكز التطبيب، بل أن مراكز التنصير قد بدأت عندهم مراكز للتطبيب في أول الأمر. وفي هذه المراكز وجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين، وإلى الأعيان، وكانوا يستغلونهم من هذا الطريق لمصالح تنصيرية بحته. ومع الأيام أخذت عناية اليسوعيين بالتطبيب تقل، وقيامهم بالتنصير يزيد، حتى حل التنصير المحض محل التطبيب الذي كان رياء للناس(٢).

وكان المنصرون يعلنون ذلك ولا يكتمونه فقد قال "رشتر" في هذه المناسبات من التطبيب في مستوصف أو مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب

---

(١) أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، جـ١، صـ ٢٠٩.

(٢) د. مصطفى الخالدي "التبشير والاستعمار" صـ ٦١.

المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى، ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظا وغضبا"[١].

أما حين تمتزج الصفاقة بالتدجيل، ويمتزج الجهل بموت الضمير، فإنك ترى ذلك واضحا فيما قالته المنصرة "ايراهاريس" تنصح الطبيب الذاهب بمهمة تنصيرية: "يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم، فتكرز[٢] لهم بالإنجيل. أولئك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: أن واجبك التطبيب فقط، لا التبشير، فلا تسمع منه"[٣].

فالعلاج الطبي يعد واحدا من أخطر وسائل التنصير، لذا تحرص مؤتمرات التنصير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبي في التنصير. ومن تلك التوصيات والقرارات: يجب الإكثار من الإرساليات الطبية، لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين[٤].

ومما يلحظ أن المستوصفات الطبية، والمستشفيات من أكثر المنشآت اهتماما من جانب المنصرين، والمنصرون لا يرحبون بإنشاء مستشفيات وطنية في مناطق عملهم، لأن ذلك يقلل من احتكاكهم بالمسلمين، واحتكارهم لهذه المهمة، وللمنصرين أساليب مختلفة في مستشفيات المدن وفي الأدغال، والفيافي، وفي البيوت والقرى.

---

(١) المصدر السابق، صـ ٦٣ بتصرف.

(٢) فتكرز: مأخوذ من الكرازة، وهو: تعبير مسيحي، معناه: إلقاء النصائح على الآتين إلى الكنيسة.

د. مصطفى الخالدي: "التبشير والاستعمار" صـ ٦١، الهامش.

(٣) د. مصطفى الخالدي "التبشير والاستعمار" صـ ٦٢، ٦٣.

(٤) احمد عبد الوهاب "حقيقة التبشير" صـ ١٨٠.

ومما تأكد لدى الدارسين: أن مستشفيات التنصير كانت تقام فيها الصلوات المسيحية في كافة عنابر المرضى في الصباح والمساء، وتلقي المحاضرات بالفانوس السحري، ويقوم موظفون أخصائيون في التنصير بزيارة كل مريض في مكانه، وتتوالى الزيارات بعد الشفاء في المنازل[١].

ولم ينس المنصرون مقام المرأة في الأسرة، فوجهوا اهتمامهم إلى التأثير عليها، وصاروا ينصرون في مستشفيات النساء، وفي المستوصفات وكذلك أرسلوا الطبيبات المنصرات إلى البيوت والقرى، للاتصال مباشرة بالنساء، واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم التي يزعمون أنها نبيلة، ولقد استغل المنصرون كل شيء في سبيل التنصير، أو محاولة التنصير حتى المرضات، ويرى المنصرون: أن المرضة لا تعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط، بل تحمل إليهم -أيضا- رسالة المسيح، ولذلك حرص المنصرون على إنشاء مدارس للتمريض في إيران خاصة[٢].

وهكذا كما ترى حول المنصرون الطب -وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية- إلى وسيلة للانقضاض على الإسلام والمسلمين، والحد من انتشار الإسلام.

ثالثا: الأعمال الاجتماعية:

ومن الأعمال التي يستغلها التنصير ويجعلها من أساليبه: "الأعمال الاجتماعية"، والأعمال الاجتماعية، هي: المناسبات التي تربط بعض البشر ببعضهم عرضا، أو تتيح لبعض الناس أن يعرفوا الآخرين، مثل: الحفلات الرياضية، والخطابية، والأندية الأدبية والسياسية، وأعمال البر والإحسان[٣]، وما

---

(١) أنور الجندي "مقدمات العلوم والمناهج" جـ١، صـ٢٠٩.
(٢) د. مصطفى الخالدي "التبشير والاستعمار" صـ ٦٤.
(٣) المصدر السابق، صـ ١٩١.

جرى مجرى ذلك.

وقد فطن المنصرون إلى أهمية هذه الأمور، فاستغلوها كأسلوب من أساليب التنصير، جاء في كتاب اسمه (مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين): نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادئ يسوع[١] المسيح في جميع الصلات الإنسانية. إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيا بالأسلحة الروحية، فالنشاط الاجتماعي يجب أن يوافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه، فلنبدأ بالصلات اليومية، تلك التي تتصل بالطفل والمرأة، ثم نتوسع في تلك الصلات، حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم.

وكان المنصرون يوجهون نصائحهم للقائمين بالعمل التنصيري بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس الآتية:

- إيجاد بيوت للرجال والنساء، وخصوصا الطلبة منهم ومنهن.
- إيجاد أندية للاعتناء بالتعليم الرياضي، وأعمال الترفيه.
- حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال.
- التعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية.
- إصلاح الأحداث.
- الحيلولة دون زواج المسلمين المبكر[٢].

وهكذا يحاول المنصرون بكل وسيلة انتهاز كل مناسبة اجتماعية،

---

(١) نقلا من كتاب "التبشير والاستعمار" صـ ١٩١، ١٩٢، وانظر كذلك: احمد عبد الوهاب "حقيقة التبشير" صـ ١٨٢.

(٢) احمد عبد الوهاب "حقيقة التبشير" صـ ١٨٣.

ليدخلوا منها، أو يظهروا فيها، وكل ذلك له أثر في الحد من انتشار الإسلام.

رابعا: الهيمنة والتأثير على البعثات:

من أخطر وسائل التنصير وأشدها ضراوة على الإسلام والمسلمين: الهيمنة والتأثير على البعثات المبتعثة من البلاد المسلمة إلى الدول النصرانية الغربية، والمراجعة الفاحصة للدراسات التي تتصل بالتنصير، تكشف لنا أن التنصير أو ما يسمونه بالتبشير نجح في اصطفاء بعض من يتخرجون من معاهده وجامعاته، أو من بعثاته في أوربا وأمريكا.. وقد أتيح لهؤلاء أن يتولوا بعد عودتهم مناصب رئيسية في وزارات التربية والتعليم والمعارف، فاستطاعوا أن يساندوا التنصير، وأن يؤثروا في المناهج والمؤلفات والصحف[1].

وقد نجحت هذه العناصر التي أعدها التنصير في استغلال مناصبها في الأجهزة المختلفة، لغرض دس مفاهيم غير إسلامية، وتبني وجهات نظر معادية للإسلام، والابتعاد عن التشريع الإسلامي.

ولا يخفى أن هناك وسائل أخرى يستخدمها المنصرون في أعمالهم التي يقومون بها. وإذا بحثت بعمق عن الحقول الفكرية والاجتماعية التي يركز عليها التنصير، وجدت أنها:

١- المدارس والمعاهد والكليات على اختلاف مستوياتها واختصاصاتها.

٢- الأندية وقاعات المحاضرات، وسائر مراكز التوجيه الثقافي الخاصة أو العامة.

٣- الجمعيات العلمية والثقافية والأدبية والفنية والأنشطة الرياضية.

٤- الكتب والمجلات والصحف والنشرات الدورية.

---

(١) أنور الجندي "مقدمات العلوم والمناهج" جـ١، صـ٢٠٤.

٥- وسائل الإعلام المختلفة: السمعية والبصرية

٦- الأحزاب والهيئات السياسية والاجتماعية.

٧- المراكز الصحية على اختلاف مستوياتها وأنواعها.

٨- المعامل والمؤسسات التجارية والصناعية والإدارية وغيرها[١].

وبكل هذه الوسائل والأساليب، وفي كل المواقع حارب المنصرون انتشار الإسلام بالخطط الماكرة، وبالأعمال الدائبة، فكان التنصير سببا خطيرا من الأسباب والمعوقات التي تحارب الإسلام، وتقدم المسلمين وذلك بما كان من:

- إثارة الشبهات حول القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وأحكام الإسلام، وتشريعاته ومبادئه.

- دس الأفكار الفاسدة، وإغراء بعض ضعفاء النفوس أو ضعفاء العقول من المسلمين باعتناقها على أنها من تعاليم الإسلام ومفاهيمه، ثم محاربة الإسلام بها، لإعاقة انتشاره.

- اختلاق الأكاذيب والافتراءات على الإسلام وتاريخ المسلمين، وتشويه غاية الفتوحات الإسلامية.

- مقابلة بعض أحكام الإسلام وأركانه وتشريعاته بالاستهزاء والسخرية والازدراء، ووصف المتمسكين بها بالرجعية والتخلف والتآمر والتعصب والجمود، ونحو ذلك من العبارات التي تضعف حماس المسلمين المتمسكين بدينهم.

- احتقار العلماء، وتقديم الجهلة المنحرفين إلى مراكز الصدارة، ليعطوا

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" صـ ٥٠٢، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

صورة سيئة عن الإسلام والسلوك السليم[١].

فالتبشير من أخطر الحروب والمعوقات التي تواجه الأمة المسلمة وانتشار الإسلام، كانت بدايته مع نهاية الحروب الصليبية، وقد بقي للتنصير حتى اليوم "تكتيكه" أو وسائله، وبقيت له "أيدلوجيته" أو فكرته، ولئن جاء التنصير بديلا عن الحروب الصليبية، فقد كان ذلك بصفة عامة، لكن الحروب الصليبية لم تنته تماما[٢].

---

(١) المصدر السابق، صـ ٥٠٧.

(٢) د. علي جريشة "الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام" صـ ٨٧.

الخاتمة

التيارات الفكرية، والحركات المعاصرة، تشكل تيارا جارفا، يزحف على المجتمعات الإنسانية، في تخطيط دقيق، ليصرف المجتمعات عن حركة الحياة، ويشغلها بما هو بعيد عنها.

ولقد عانت المجتمعات الإسلامية من التيارات الفكرية الزاحفة، وشغل الناس بها، مما صرف الناس عن المواكبة العلمية، والفهم الصحيح لمبادئ الإسلام وأصبح الناس يتغنون بالماضي وهم نائمون في رقدة بالموت أشبه..

ولا يخفى على كاتب أو باحث أن التيارات الفكرية والحركات المعاصرة، تعمل بكل ما تملك من إمكانات على غزو الأمة الإسلامية غزوا فكريا يفتت الأمة، ويضعف من انطلاقها، ويقيد حركتها ويبعدها عن الواقع.

<u>والغزو الفكري المتمثل في التيارات والحركات المعاصرة:</u>

- "هو أن تظل الشعوب الضعيفة أو النامية خاضعة لنفوذ القوى المعادية لها".

- إن هذا الغزو هو أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصا، والعالم النامي عموما تابعة لتلك الدول الكبيرة المتقدمة، تبعية غير منظورة وفي هذه التبعية يكمن دهاء تلك الدول المتبوعة وذكاؤها فليس أقتل للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال. بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية.

- الغزو الفكري: هو أن تتبنى أمة من الأمم وبخاصة الأمة الإسلامية معتقدات وأفكار لأمة أخرى من الأمم الكبيرة.

- الغزو الفكري: هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لأمم أخرى غيرها، فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم، وتمسخ

عقولهم.

- الغزو الفكري: هو أن يحول الغازون بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها.

- الغزو الفكري: هو أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب فضلا عن أن تحل محلها بإحياء اللهجات العامية والإقليمية وكتابة الأسماء والمسميات بلغات لاتينية ومن المؤكد أن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها.

- الغزو الفكري: هو أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمم الغازية وعاداتها وتقاليدها"[1].

فأصحاب المذاهب والنظريات المعادية للإسلام، ما سكتوا عن الإسلام، منذ أشرق على الأرض ولا يزالون يتحركون ليكيدوا للإسلام والمسلمين، ولا زال الغزو الفكري للإسلام والمسلمين، يستهدف الجذور، ويركز على تشويه الأصول.

والحركات الهدامة، والتيارات المختلفة تحاول جهدها أن تعيق العمل الإسلامي، كي لا ينطلق بالمسلمين إلى كل ما من شأنه أن يأخذ بالأمة إلى الاستثمار والتنمية والإنتاج والتقدم.

وقد لا يكون المرء مجانبا للصواب إذا تأكد لديه: أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من هزائم فكرية، واقتصادية، وسياسية، هو نتيجة حتمية، لتغلغل التيارات، والحركات الهدامة، التي تنخر في عظام الأمة.

"وأن أخص صفات عصرنا هي ينتج من الأفكار بقدر ما ينتج من الأشياء: وليس من الضروري أن نتطلب من الأفكار المنتجة أن تكون نافعة دائما

(١) الدكتور علي محمود عبد الحليم، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، صـ٧-١١ بتصرف ط: جامعة الإمام سعود.

كالأشياء، فإن المجتمعات التي تصدر إلينا أشياء الحضارة، ترى في الأفكار سلعة ينبغي أن تتغير كل يوم.

ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامي هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار، نظرا إلى موقعه، وخطورة موقفه بين الكتل المتصارعة.

والهدف من وراء التصدير واحد لدى مراكز الإنتاج، وهو أن يبقى هذا العالم مفتقرا إليها على اختلافها، وأن يحال بينه وبين أفكاره الأصيلة..

وسوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات، وأكثرها تقبلا للتزييف والإفساد، ومن ثم حفلت أسواقنا بما هو أشد فتكا من السموم أفكار ترتدي أثوابا أو تحمل شعارات أو ترفع مشاعل، ليس الثوب فيها، أو الشعار، أو المشعل، إلا قناعا يستر الزيف والخطر"[1].

ومن حق الأمة الإسلامية، أن تتنبه للأخطار الفكرية والتيارات الهدامة، التي تحدق بالأمة.

ومن حق الأمة أن تتبصر المواقع، وتتعرف على طريق الصواب، لتتمكن من المواجهة، والمواجهة لن تتم إلا بالتعرف على التيارات التي تنتشر بين المسلمين، ومواجهتها مواجهة فكرية، لأن المعركة معركة فكرية، والمعارك الفكرية تكون مواجهتها بالفكر، والوعي، والفهم.

وهذه الافتراءات التي انتهى إليها البحث عن التيارات الفكرية تضع يد القارئ على أثر التيارات الفكرية في حياة الفرد والمجتمع ويتلخص أثر هذه التيارات في:

(١) ظهور المزيد من التيارات التي تتولد بعضها عن بعض كما تدل عليه

---

(١) انظر وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، صـ ٧، ط دار التراث العلمية بالكويت، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

صفحات هذا البحث كما يحمله الفكر الوجودي وأنه تطور أو رد فعل للشيوعية الماركسية في إهمالها للفرد إهمالا تاما في سبيل الجماعة ولذا أثارت الوجودية على المفاهيم التي قدمتها الشيوعية وتقدمت بمفاهيم تعمل على إصلاح مسار الشيوعية الماركسية في نظرتها للفرد.

(٢) مناصبة العداء لدين الله تعالى ممثلا في طمس:

أ - التكاليف الإيمانية.

ب - التكاليف العملية.

(٣) خروج تيارات عابثة ومجافية لكل تعاليم الدين الذي جاء به كل رسل الله ممثلة في الوحي الإلهي لمسخ إنسانية الإنسان الذي كرمه الله بالمسئولية والتكريم والخلافة في الأرض.

الفهرست

التيارات بين اللفظ والدلالة ٤

الغنـوصيــة ١٤

الغنوصية والإسلام ٣٢

مواجهة الإسلام للتيار الغنوصي.. ٣٦

المـاسونيــة ٤٦

الصهيـونيــة ٦١

الوجــوديــة ٧٥

العلمـانيــة ٨٤

الاستـشـراق.. ١٠٠

التبـشيـر ١٣٤

الخاتمة ١٤١

الفهرست ١٤٥



ت: ٧٢٤١٧٨٦٠ - ٠١٢٢٧٤٩٤٧٥